...يم ...عداد ...بحث العلمي
...سلة ...عداد
...صور الحية

فن الإلقاء

تأليف

...ي عبد الحميد
...ذ مساعد فني

بدري حمودي فرير
أستاذ مساعد

وفقاً لمفردات
مرحلة السنة الثالثة

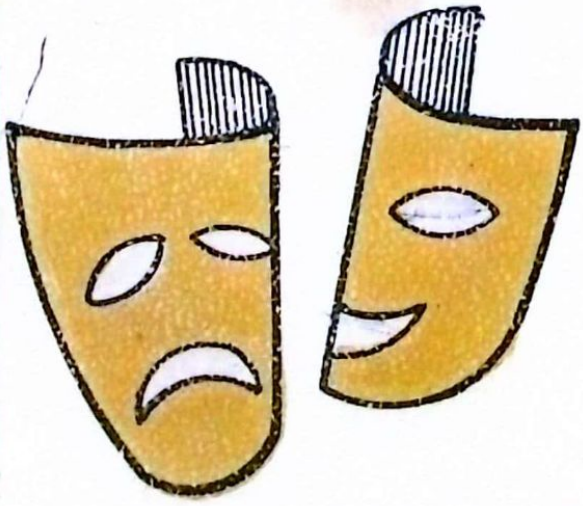

الجزء الأول

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغـداد
اكاديمية الفنون الجميلة

فن الالقـــــــــاء

الجزء الثالث

تاليف

امي عبدالحميد و بدري حسون فريد
أستاذ مساعد فن أستاذ مساعد

وفقـــا لمفـــردات

مرحلة السنة الثالثة

طبع على نفقة جامعة بغـداد

مطبعة جامعة بغـداد
١٩٨٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقـــــدمة

يخصص هذا الجزء من كتابنا (فن الالقاء) لدراسة نشوء اللغة وتطورها عبر تاريخ الانسانية ويعرج على ظهور اللهجات الدارجة واختلافاتها وتباينها ومصادرها ومستقبلها • كل ذلك كي يكون طالب التمثيل على علم بجوانب سلاحه الذى يستعمله فى فنه الا وهو (الكلمة) • سوف يعتمد هذا الجزء على الاصول النظرية لعلم اللغة ولا يتناول الجوانب التطبيقية الا قليلا اذ ان ذلك من شأن الاجزاء الاخرى من كتب (فن الالقاء) للمراحل الدراسية المقررة •

لقد نشر الكثير عن موضوع نشوء اللغات بصورة عامة واللغة العربية بصورة خاصة وتطوراتها ، وهنا فى هذا الكتاب فأننا نضع امام الطلبة المعلومات الواضحة عن وسيلة التفاهم والتعبير • ونحاول ان نربط تلك المعلومات مع فن الالقاء • ان مجهودنا المتواضع هذا ليس الا محاولة لتكثيف المعلومات السابقة عن علم اللغة وذلك عن طريق الكشف عن جذور لغتنا والقيم المختلفة التى تحملها وبالتالي يمكن التعرف على كيفية استخدام تلك القيم فى المجالات الفنية والاعلامية المختلفة •

وفى القسم الثانى من هذا الكتاب نتدارس كيفية ظهور اللهجات المحلية داخل اللغة الواحدة ومدى اختلافها او تشابهها مع اللغة الثانية ونبين اهم المعالم التى تميز لهجاتنا العربية المحلية ولهجاتنا المحلية الفطرية لكي يتمكن الممثل الاستعانة بالمعلومات التى نقدمها لغرض استخدامها فى الاداء التمثيلي فى بعض المسرحيات او التمثيليات الاذاعية او التلفزيونية او الافلام السنمائية ، فقد لاحظنا ان الكثير من الممثلين يخلطون بين لهجة واخرى او بين لهجة منطقة من مناطق القطر ولهجة منطقة اخرى وخاصة تلك المناطق المتقاربة جغرافيا •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتبرز عوامل الاختلاف بين اللهجات واللغة الاصلية لدى بعض الامم اكثر مما في الامم الاخرى وذلك وفقا لاختلاف المفردات المستعملة فى كل منهما او وفقا لاختلاف موسيقى الكلام والنبر الصوتى • وتظهر مشكلات الاختلاف فى مجالات الادب والفن اكثر مما تبرز في مجال التعامل اليومي والتفاهم حيث الناس لايفرقون او لايضطرون الى التفريق فيها •

ويبدو لنا واضحا ان ازدياد الثقافة لدى الناس هو الذى يساعد على تقليص الهوة بين اللغتين لان لغة الكتاب وهي واسعة الثقافة هي اللغة القياسية • ونود فى هذا الكتاب ان نضع التصور المستقبلي للغتنا الام واللهجات المختلفة على النطاق العربي والثقافي الفطري •

وليس هذا الكتاب مجال الاساس الفسلجي للغة فقد تحدثنا عن ذلك فى الاجزاء الاولى من كتابنا (فن الالقاء) • بل نحن هنا بصدد التحدث عن اصل اللغة لدى البشر وكيفية تطورها واختلافها من قومية الى اخرى ومن لغة الى اخرى • ونتحدث عن كيفية ظهور اللهجات داخل اللغة الواحدة ومدى التقارب والاختلاف بين اللهجة واللغة القياسية واسباب ذلك الاختلاف او التقارب •

ان معرفة اسرار اللغة تساعد الملقي على اعطاء كل كلمة فى الجمل التى يلقيها حقها من المعنى والتعبير والتأثير وقد رأينا ان نفرد لموضوع نشوء اللغة وتطورها كتابا خاصا ولهذا فقد خصص هذا الكتاب لتغطية مفردات منهج السنة الثالثة أما مايتعلق باساليب الالقاء فقد ارتأينا ان نضمها الى الجزء الرابع من كتابنا (فن الالقاء) وذلك لصلتها الوثيقة بمفردات مرحلة السنة الرابعة •

وان لمعرفة اسرار اللغة علاقة وثيقة بفن الالقاء حيث تسهل على الممثل والمذيع معرفة ايقاعات الكلام ومواضع النبر الصحيح وغير ذلك من وسائل الجذب والعذوبة والرقة والاتيان بما هو اجمل واحب الى النفوس والقلوب •

المؤلفان

بغداد ، شباط ١٩٨٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الباب الأول

أصـــــــل الكلمـــــــة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصـــــل الاول
نشـــــؤ الكلمـــــة

مما لاشك فيه ان الانسان القديم لم يكن يعرف الكلام منذ بداية خلقه ، كما ان الطفل لايتكلم منذ ولادته وانما يتعلم الكلام عندما يكبر وتزداد معرفته كلما ترعرع وهو يأخذ الالفاظ عن ابويه اولا ومـــن الناس المحيطـــين بـــه ثانيا ومن الحياة ثالثا • ولم تستخدم اللغة وسيلة للتفاهم والتعامل والثقافة كما هى الان بل كانت فى البداية مجرد تعبيرات صوتية عن الحاجات الآنية للانسان او انعكاسات صوتية عن تفادي الاخطار التى تلحق به • ان الانسان البدائي كان يستعمل الاشارة والايماءة والحركة بدلا من الصوت للتعبير عن حاجاته ودوافعه وعواطفه وانعكاساتها وكانت ترافق تلك الايماءات والحركات بعض الاصوات التي تخرج تلقائيا •

يذكر علماء الدلالة ان الانسان القديم كان يستعمل الاشارة وسيلة للتعبير ووسيلة للتفاهم وبالتالي لغة • وقسموا الاشارات الى ثلاثة انواع الاولى هى التى تدل على الطبيعة فالدخان مثلا اشارة لوجود النار ، والثاني الاشارات الصورية وهي الدلالات التى تتكرر صورها مثل آثار الاقدام • والثالث هو اشارات التفاهم وهى الايماءات التى تعبر عن الفعل • او عن رد الفعل الانسانى بعلاقته مع اخيه الانسان الآخر • ويذكر كوندراتوف « ان اللغة اليدوية Hand Language لمجموعة (اراندا) Aranda الآسترالية تملك حوالي (٥٠٠) اشارةجسمانية واضحة • وهذه الاشارات تمثل اشياء واعمالا وصفات وعادات اجتماعية وحتى اسئلة تامة وعبارات كاملة »[1] •

---

(١) آ كوندراتوف ، اصوات واشارات ، دراسة في علم اللغة ، ترجمـــة ادور يوحنا ، وزارة الاعلام العراقية ١٩٧١ / ص ١٣ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكانت الاشارات هى اللغة السائدة لدى الاقوام البدائية ولكنهـــا لم تكن وسيلة ناقصة للتفاهم فقد يساء فهم الاشارة التى يؤديها شخص أمام شخص آخر او قد تفهم على غير معناها . او لايستعمل كل الافراد نفس الاشـــارات لنفس الافعال او لنفس الاشياء .

وردت في احدى قصص الفايكنك الشجعان الاسكندنافيين قصة طريفة مفادها ان محاورة جرت بين احد رجال الدين وبين أحـــد ابطالهم الذى فقد احدى عينيه فى بعض المعارك . وكانت اشـارات اليد هى « لغة » التفاهم بينهما ، وعندما رفع رجل الدين احـــد اصابعه اثناء الجدال أجابه مناظره برفع اصبعين وعندما رفـع الاول ثلاثة اصابع رد عليه الثانى بقبضة يده ولمـــا التقط الاول قطعة فاكهة واكلها ولفظ نواتها تناول الثانى قطعة نبات مر المذاق وازدردها بنواتها ثم افترقا بعد ان اعترف الاول باندحاره وأطرى على حكمة خصمه وبين ان الاصبع التى رفعها للتدليل على وحدانية الخالق قد تحداها خصمه بقطنة عندما رفع اصبعين مشيرا الى « وحدانية » الله المتمثلة فى تلاحم الاب والابن وروح القدس[1] .

ويتبين من ذلك ان الاشارة فى بعض الاحيان تكون قاصرة عن اداء مهمة التفاهم ، وهكذا كان لابد من مصاحبة الاشارة بالصوت لكي يمكن ان يصـــل الانسان الى وسيلة للتفاهم . لقد كان الانسان القديم يستجيب لبعض الحاجات اليومية فى الحياة بالصوت بأن يطلق بعض الاصوات التى قد تختلف من شخص الى شخص آخر فهو اذا ما احس بجوع مثلا وصادف ما يؤكل فانه يخرج صوتا يدل على الفرح بعثوره على الطعام ، واذا ما سمع صوت اسد فقد يخرج صوتا

---

(١) د . نورى جعفر ، اللغة والفكر ، مكتبة التولي والرباط ، سنة ١٩٧١ ص ٥١ ـ ٥٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للدلالة على فزعه من الاسد • واذا ما شم رائحة تطيب لها نفسه فقد يخرج صوتا يعبر عن حبه لتلك الرائحة وهكذا فان التعبيرات الصوتية البدائية تصدر عن استجابة الاحاسيس وتحرك الحواس الخمس • والحق ان الانسان القديم قد استخدم التعبير الصوتي المصحوب بالاشارة استجابة لتلك الحواس وذلك لغرض العرف والتعرف فحاسة اللمس والذوق تعرفه بالاشياء والمواد عن طريق الاتصال بها اما حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الشم فتعرفه الاشياء والمواد من غير حاجة للاتصال المباشر بها • وكان الانسان يحول تلك الانطباعات الى اتصال لغرض التعريف وذلك بالحركة والاشارة والايماءة والصوت ثم اخذ الصوت يحل تدريجيا محل الحركات والاشارات والايماءات ليكون بذاته رموزا بدلا عنها • ويرجع سبب لجوء الانسان الى الحركة للتعبير عن افعاله وردود افعاله الى حاسة البصر التي تسبق الحواس الاخرى فى استقبال الانطباعات الحسية وتأتي حاسة السمع بعد ذلك •

واذا عرفنا كيفية تكون الصوت تشريحيا عن طريق الزفير الذى يخرج من الرئتين يحرك الوترين الصوتيين فى حنجرة الانسان ، او مروره بمجارى مختلفة الاحجام بفعل اقتراب بعض الاجهزة ذات العلاقة لبعضها الآخر ، فالغناء مثلا يتكون بمرور الزفير فى المجرى المتكون من اقتراب الاسنان العليا من الشفة السفلى • فاننا سوف نعرف كيفية حلول الصوت محل الحركة فى مجال التعبير عن الحاجات وعن المعاني وبالتالي تحوله الى فعل حيوي يؤدي الى توتر او تقليص فى بعض اجهزة الجسم ،ويؤدى ذلك التوتر الى تحريك جهاز التنفس وبالتالي الى خروج الزفير وكذلك يفعل رد الفعل • والطفل منذ اللحظة الاولى من ولادته يخرج الاصوات التى هى عبارة عن ردود افعال عن المحيط الجديد الذى يخرج فيه •

عندما تنامت العلاقات الانسانية وتطورت بحكم تكون المجتمعات القبلية وشعر الانسان بالحاجة الى رموز صوتية يمكن ان يتداولها مع اخيه الانسان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لغرض تنظيم تلك العلاقات وذلك لغرض المحافظة على الحياة وادامتها اولا في سبيل الدفاع عن النفس من الاخطار الخارجة ثانيا كأخطار الطبيعة المتمثلة بالامطار والبراكين والصواعق واخطار الحيوانات كالافتراس ، او خطر الانسان على الانسان الآخر كالغزوات وفي سبيل تبادل المنافع المختلفة كالادلاء بمعلومات عن اماكن الرعي ومواطن الحياة . وهكذا ظهرت اولى بوادر الكلام وسمات اللغة عندما تكاثرت الرموز الصوتيه لدى الاقوام بحكم تطور العلاقات وتشعب واتساع المصالح المتبادلة .

ويغلب الاعتقاد بان تلك الرموز بعد ان ازدادت الى الحد الذى تحولت من وسيلة للتفاهم الى عكسها بات من الضرورة المحافظة على تلك الرموز من التكاثر وبات من الضرورة توحيد تلك الرموز بين افراد القبيلة الواحدة او القومية الواحدة ، عند ذاك ظهرت الحاجة الى وضع قواعد وشروط اللغة .

لقد كانت الاصوات البدائية التى صدرت عن الانسان وسيلة للتعبير حيث أخذ هو بتجميع تلك الاصوات بمجموعات تعبر كل مجموعة عن معنى معين كالاشياء والافعال والحروف والظروف وسمى تلك المجموعات بال « الكلمة » ثم أخذ الانسان بعد ذلك بجمع تلك المجموعات الصوتية بمجموعات اخرى اكبر القصد منها كثرة رقعة الدلالات والتعبيرات وسميت تلك المجموعات المركبة (الجملة) وتلك الجمل هي اساس اللغه ...

وبديهي ان تشابه الرموز التى يستعملها قوم يعيشون متقاربين ومن بيئة متشابهة وبديهي ان تختلف الرموز التي تستعملها امة عاشت في مكان بعيد او ظروف جيوية حياتية وبيئة طبيعية مختلفة ، ومن الطبيعي ان تختلف الضوابط التى تضبط لغة قومية اخرى . ومن اختلاف الظروف الطبيعية والمعاشية والاجتماعية اثر فى انعكاسات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحاجات الاقوام وبالتالي اوجد ذلك الاختلاف في طرق تعبيرهم عن تلك الحاجات فاللغة السامية مثلا لغة اصلية تفرعت عنها لغات اخرى هى الآرامية والعربية والعمورية وغيرها وذلك بحكم تأثيرات الظـــروف المتغيرة[1] .

وتبعا لتغير البيئة تتغير الحاجات وتبعا لتغير الحاجـات تتغيـــر التعبيرات الكلامية .

المبحث الاول : الاسباب التي ادت الى ظهور الكلام ومصادره الاساسية :

المقدمة التي استعرضنا فيها نشوء اللغة لدى الجنس البشرى يمكن تقرب اسباب ظهور الكلام الى ما يلي :

اولا ـ الاسباب التلقائية : وهي المؤثرات التى تخص الانسان الفرد بعيدا عن علاقاته بأخيه الانسان وقد اوجدت تلك الاسباب مؤثرات الطبيعة والبيئة وذلك نتيجة لردود الفعل والاستجابات بكل ما يحيط به من اجواء وحيوانـات ونباتات مختلفة الاصوات بصورة تلقائية لردود الافعال الناتجة عن الغـــرائز البشرية المختلفة كالخوف والحب والجوع والعطش والتناسل وما اليها او انها نتيجة لتقليد الاصوات التى يسمعها بفعل غريزة التقليد والمحاكاة كتقليد اصوات الحيوانات واصوات الظواهر الطبيعية المختلفة كالرعد وخرير الماء وحفيـــف الاشجار . وقد اخذ الانسان يدرك تدريجيا امكان تحويل تلك الاصوات التلقائية الى رموز للتفاهم .

ثانيا ـ الاسباب الاجتماعية : ويقصد بها تجميع الافراد مجموعات بشرية تعيش معا فى مكان معين تحت ظروف طبيعية وبيئية متشابهة مما ادى الى الحاجة الى التعاون والتفاهم وتبادل الافكار والمنافع والتعبير عن كل ذلك برموز

---

(١) سامي عبدالحميد ، مستقبل اللهجات العربية المختلفة ، الاكاديمي ، العدد الثاني ، السنة الثانية ، ١٩٧٦ ، ص ٣٠ ـ ٣٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صوتية قد يكون مرجعها الاصلي الاسباب التلقائية او قد تكون نتيجة لاحلال الصوت محل اللغة الايمائية او لغة الاشارة التي تحدثنا عنها سابقا . « غير ان نشوء اللغة وتطورها لم يكن مستطاعا الا بعد ان بلغ دماغ الانسان (المنقرض) وجهاز ظروف العيش الاجتماعية تطورها وقد نشأت كما لاحظنا ، في مجرى حياته الاجتماعية اثناء مغالبة الطبيعة وبالتأثير المتبادل مع المنظومة الاشارية الحسية التي تسندها والتي نشأت قبلها من الناحية التاريخية التطورية »[1] . واذا ما اردنا ان نتعرف للنظريات التي تعرضت لنشأة اللغة لابد ان نشير الى رأي الدكتور علي عبدالواحد وافي في الموضوع ، حيث ردها الى اربع نظريات :

اولها ـ نظرية الالهام ـ « تقرر ان الفضل في نشأة اللغة الانسانية يرجع الى الهام الهي هبط على الانسان فعلمه النطق واسماء الاشياء[2] وقد جاء بهذه النظرية عدة باحثين وعلى مختلف العصور ، فلدى الاغريق القدماء نادى بها (هيراكليت) وفي اللغة العربية وفي العصور الوسطى نادى بها (ابن فارس) وفي الازمنة الحديثة كان على رأس المنادين بها (الاب لامي) . وليس لدى جميع اولئك ادلة مادية يثبتون بها نظريتهم .

ثانيتها ـ نظرية الارتجال ـ « تقرر ان اللغة ابتدعت واستحدثت بالتواضع والاتفاق وارتجال الفاظها ارتجالا »[3] .

ويعتمد القائلون بهذه النظرية على فكرة التواضع اى ان يتجمع عدد من الاشخاص الفاهمين ويرتجلوا رمزا صوتيا للدلالة على الاشياء . وليس هنالك من دلائل تسند هذه النظرية سوى المنجمين ويقصد بالتواضع هنا ، الاتفاق على وضع الرموز اللغوية . وكان (ديموكريت) من المنادين بها في عهد الاغريق وفي العصر الحديث نادى بها آدم سميث وغيره . وكذلك تعتمد

---

(١) د. نوري جعفر ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .
(٢) د. د. عبدالواحد وافي ، علم اللغة ، ط ٧ ، عام ١٩٦٢ ص ٩٧
(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه النظرية على فكرة التواتر . اى ان العلماء عندما يرتجلون رمزا صوتيا للتعبير عن حالة او عن اسم او فعل يصبح رمزا لغويا بعد التواتر والتكرار .

ثالثتها ـ نظرية الغريزة ـ « تقرر ان الفضل فى نشأة اللغة يرجع الى غريزة خاصة زود بها فى الاصل جميع افراد النوع الانسانى او ان هذه الغريزة كانت تحمل كل فرد على التعبير عن كل مدرك حسي او معنوي بكلمة خاصة به »[1] .

واذن فان هذه النظرية تعزو منشأ اللغة الى غرائز الانسان التي تتحرك فتحرك اجهزة الجسم التى لها علاقة بالتنفس والصوت ، اذ يخرج الزفير من الرئتين ويمر عبر الاجهزة الصوتية فيظهر الصوت وتتطور الاصوات نتيجة لاتفاق الجنس البشري على وضع رمز صوتي معين لكل غريزة أو لكل مدرك حسي .

« وانه بفعل ذلك اتحدت المفردات وتشابهت طرق التعبير عند الجماعات الانسانية الاولى فأستطاع الافراد التفاهم فيما بينهم[2] ، ان هذه النظرية اقرب النظريات الى المنطق والعقل لاسيما ان معظم الرموز الصوتية الناتجة عن الحس هى كثيرة التشابه مع الاصوات التى يسمعها الانسان فى بيئته . وهذه النظرية لها ايضا معارضوها الذين يدعون انها لاتحل المشكلة كاملة اذ تبقى هناك اصوات ورموز صوتية لاعلاقة لها بالغرائز . والنظرية هذه فاسدة فى نظر الدكتور وافي لانها « من قبل تفسير الشيء بنفسه »[3] من جهة ولان القدرة الفطرية لدى الانسان على التصويت موجودة لدى الطير ايضا ولم تبين النظرية مظاهر استغلال تلك القدرة فى تكوين الكلام بل اعتمدت

---

(١) د. عبدالواحد وافي المصدر السابق ، ص ٩٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تلك النظريه على اصول محددة يتنافى وادراك المعانى الكلـــية الذ
يتطلب ذهنه راقية .

ورابعتها ـ نظرية الطبيعة : « تقرر ان اللغة الانسانية نشأت مـ
الأصوات الطبيعيه (التعبير الطبيعي عن الانفعالات ، اصوات الحيوان ، اصوا
مظاهر الطبيعة ، الاصوات التى تحدثها الافعال عند وقوعها كصوت الضرب والقط
والكسر ... الخ »[1]

وتقرر ان الانسان قد حاكى اصوات الطبيعة والاصوات التى تحدث فـي
البيئة كأصوات الحيوانات واصوات الافعال كصوت القرع وصوت الكسر . وقد
نادى بهذه النظرية كثير من العلماء المعاصرين منهم (رتني) ونادى بها من قبل
(ابن جني) العالم العربي الشهير (من القرن الرابع للهجرة) . ولعل اهم
سند لاصحاب هذه النظرية هى ان مراحل تقدم اللغة تشابه فى الكثير من النواحي
مراحل تقدم اللغة لدى الطفل حيث ان الطفل فى بداية حياته يبدأ بتقليد الاصوات
التى يسمعها حوله كأصوات الطبيعة واصوات الانفعالات الطبيعية ، واصـــوات
الحيوان وغيرها . كما ان هناك سندا آخر يستندون اليه هو ان اللغة البدائية
لدى الانسان القديم كانت اقرب الى اصوات الطبيعة من اى شىء آخر هذا وقد
جاء فى كتاب ابن جني (الخصائص) . « ان اصل اللغات كلها انما هو مـــن
الاصوات المسموعات ، كدوي الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحيح
الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ، وغير ذلك ، ثم ولدت
اللغات عن ذلك فيما بعد . وهذا عندى وجه صالح ، ومذهب متقبل »[1] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونخلص الى القول بان اسباب ظهور اللغة يعود الى الجمع بين التعبير عن الغرائز وبين محاكاة الاصوات الطبيعية والحيوانية اما ماجاءت به النظرية الاولى (نظرية الالهام) فهي فى الواقع تحقيق لظاهرة انسانية هى التفكير ولولا العقل الذى منحه الاله للانسان لما استطاع ان يوفق بين الغريزة والتعبير عنها ولما استطاع ان يضع لكل غريزة او احساس الرمز الصوتى الذى يعبر عنه • ولما استطاع ان يعبر عن كل فعل يقوم به بصوت مناسب •

مراحل تكون اللغة :

ذكرنا ان وسيلة التفاهم والتعامل تحولت من الاشارات والايماءات الى الرموز الصوتية ولكن هذه الرموز قد مرت بعدة مراحل حتى اخذت صيغتها النهائية حروفا وكلمات وجمل ثم لغة كاملة لها قواعدها وشروطها وضوابطها • واختلفت الاراء فى تحديد تلك المراحل وسوف نتعرض لاهمها :

المرحلة الاولى :

مرحلة الصرخات : وقد سماها الدكتور وافي بمرحلة الصراخ « وفي هذه المرحلة لم يكن في اصوات اللغة الانسانية اصوات مد (وهي الاصوات التى نرمز اليها بحروف اللين) والاصوات ساكنة (وهي التي نرمز اليها بالحروف الساكنة) »[٢] .

---

(١) ابو الفتح عثمان (ابني جني) • كتاب الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة ، مطبوعات دار الكتب العربية ، ١٩٥٢ ، ص ٤٦ ـ ٤٧ •

(٢) د• عبدالواحد وافي ، مصدر سابق ، ص ١١١ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واستخدم الانسان فيها رموزا هي عبارة عن استجابات صوتية للرغبات والحاجات والغرائز كالشهيق الصوتية عندما يعثر الانسان الجائع على ما يسد رمقه او لعطشان عندما يروي ظمأه او الشهقات الناتجة عن الخوف حين يدهمه حيوان مفترس او يسمع رعدة او يرى برقا او تهب عاصفة هوجاء او يتقدم شخص اقوى منه يريد اختطاف شيء منه . ويقال ان تلك الشهقات كانت خالية من صفات حروف المد او الحروف الصحيحة فقد كانت اصواتا مبهمة وتشبه الى حد بعيد اصوات التعبير الطبيعي كالضحك والبكاء وكذلك فيها صفات اصوات الحيوانات والاصوات الطبيعية .

المرحلة الثانية :

مرحلة حروف اللين : وقد سماها الدكتور وافي بمرحلة المد

وهى المرحلة التى توصل فيها الانسان الى تطوير الصرخات والشهقات الى حروف مد حيث كانت الصرخات تحتوى تلك الحروف ضمنا . ومثلا على ذلك شهقة العثور على الطعام التى تشبه صوت (هي) تحتوى على حروف المد (الياء) وشهقة الخوف من حيوان والتى تشبه صوت (هو) الذى يحتوى على حرف المد (الواو) وشهقة العثور على ماء التى قد تشبه صوت (ها) وتحتوى على حرف المد (الالف) .

المرحلة الثالثة :

مرحلة الحروف وقد سماها الدكتور وافي بمرحلة المقاطع وهى المرحلة التي تبولدت فيها الاصوات الساكنة او الصامتة الصحيحة وارتبطت الاصوات الصامتة اللينة لتكون مقاطع صوتية . وقد بلور الانسان تلك الحروف بعد ملاحظته حركة الشفاه واللسان والاسنان التى تتم فى المرحلة الاولى ، ويستند اصحاب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرأي السابق السابق الى سندين هما ١ـ كيفية تطور الكلام لدى الطفل حيث يبدأ بالصرخات ، تلك الاصوات التى تقترب فى صفاتها من حروف اللين ، ثم يبدأ بنطق بعض الحروف الصحيحة مثل (الباء) و (الميم) وذلك عندما ينطق كلمتي (بابا) و (ماما) .

٢ ـ تطور لغة الاقوام البدائية وهى تعتمد ايضا على الاصوات المبهمة ثم كثرت حروف المد فيها ولم تظهر لديها الحروف الصحيحة الا في مرحلة متأخرة . ويقف ضد هذا الرأى كثيرون وذلك لاعتقادهم ان جميع اللغات تحتوى على اصوات صائتة واصوات ومقاطع صوتية كما ان الحيوانات تخرج مقاطع صوتية كالتي يخرجها الانسان(١) .

وهناك فئة من الباحثين تعتقد ان اللغة لدى البشر بدأت بالفاظ كاملة دالة على معاني جزئية تطورت بعد ذلك الى تجميع تلك الالفاظ الى معاني كلية يؤيد هذا الرأي لغة الطفل وتحويلها من الجزيئات الى الكلمات وكذلك لغة الامم البدائية .

وهناك نظرية ثالثة نادى بها العلامة (ريبو) وقد قال ان الانسان استعمل فى بداية استعماله للرموزالصوتية ، الاصوات الدالة على الصفات ثم استعمل بعد ذلك الاسماء ثم استخدم الافعال وجاءت الحروف اخيرا . وليس هناك دلائل قوية تسند هذه النظرية وذلك لان الصفات هي الكليات وليس من الجزئيات وان الاحتمال الاكثر صحة ان الاصوات الدالة على الافعال هى التى ظهرت اولا وهكذا انتقلت اللغة الى مرحلة ايجاد القواعد حيث شعر الانسان ان ليس من الصحيح ترك الحبل على الغارب لكل فرد ان يستعمل رموزه الصوتية الخاصة مما يؤدى الى فقدان اللغة لخاصيتها كوسيلة للتفاهم وذلك بحكم تكاثر المفردات واستعمال كل فئة من الناس مفردات غير التى تستعملها الفئة الاخرى .

---

(١) ينظر د. علي عبدالواحد وافي ، علم اللغة ، ط ٦ ، القاهرة دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٢ ، ص ١١٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقبل الدخول فى المبحث الثاني لابد لنا من ان نتعرض الى كيفية تطـــور اللغة لدى الطفل • وذلك لان تكون اللغة لدى الانسان البدائي يبدو للوهلة الاولى انه حدث بنفس الطريقة فى كثير من الاحوال • فالاصوات التى تخرج من فم الطفل عند الولادة هى اصوات عفوية خالية من التفكير والمعنى ثم يأخذ تدريجيا فى الادراك ويربط بين الاصوات وبين المعاني وذلك بعد ما تصبح اللغة « الوسط او الاداة التى عن طريقها يتعامل الطفل مع الآخرين ومع الاشياء المحيطة به وفى تعيين ملامح سلوكه ومشاعره وفى اكتساب المعرفة والخبرة والتراث الاجتماعي في نشوء عملياته العقلية العليا وتطورها »[1] • ويتفق الدكتور نورى جعفر مع غيره من الباحثين ان لغة الطفل تمر بثلاث مراحل المرحلة الاولى هى مرحلة التقاط بعض الكلمات من المحيطين به وخاصة من أبويه • وفى هذه المرحلة يردد الطفل الكلمات من غير ان يعرف معناها • وفى المرحلة الثانية ، وتبدأ بالسنة الثانية ، يبدأ الطفل بتمييز المعاني واما المرحلة الثالثة فهى مرحلة تنظيم الفهم وتبسيطه مع الكلمات وتبدأ هذه المرحلة فى بداية السنة الثالثة •

اما الدكتور وافي فيقسم اصوات الطفولة الى ستة اقسام ـ الاولى : اصوات التعبير الطبيعي عن الانفعالات كالاصوات التى تصدر عنه فى حالات الفرح والخوف والجوع والالم والتى تشبه الضحك والبكاء • وهذه الاصوات تصدر تلقائيا بدون وعي ولا تفكير ولا ادراك • الثانية : الاصوات الانفعالية الارادية وهى اصوات مأخوذة عن القســـم الاول ولكن الطفل يستعملها بصورة ارادية حيث يـدرك ماهيتها وتأثيرها • كالصرخات البكائية وعند الشعور بالالم او الجوع ولا تظهر هذه الاصوات الا فى مرحلة متقدمة من حياة الطفل طبعا • والثالثة : اصوات التأثيرات السمعية وهى التى تصدر من الطفل عن طريق محاكاة الاصوات التى يسمعهـــا وقد تكون هذه الاصوات تلقائية او ارادية حسب تقدم سن الطفل • اما الرابعة : فهي اصوات التمرينات النطقية او اللعب اللفظي[2] وهي تكرار الاصوات التـــي

---

(١) د• نوري جعفر ، المصدر السابق ، ص ٧١ •
(٢) ينظر د• علي عبدالواحد وافي ، المصدر السابق ، ص ١١٩ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ها الطفل في سن مبكرة والتى يقوم بترديدها وتظهر في هذه الاصوات بعض
ت حروف المد وبعض صفات المقاطع وتظهر مثلا صوت (الغين) مع حرف لين او
وف المد وبعض صفات المقاطع وتظهر مثلا صوت (الفين) مع حرف لين او
ف (الباء) مع حرف لين آخر وهكذا • والدافع لظهور هذه الاصوات ليس
رد المحاكاة وانما هو دافع غريزي • أما الخامسة : فهى اصوات المحاكاة للاشياء
لاصوات الاخرى • وهى غريزة كذلك لاسيما ان المحاكاة هى غريزة ايضا •

السادسة : فهى الاصوات ذات المقاطع والحروف • ويتعلمها الطفل عن طريق
قليد والتكرار وهى غريزة فى بدايتها وارادية عند تكاملها •

يتبين من ذلك ان مظاهـــر التعبير فى الطفـــولة ترجع الى سبعـــة
قسام هي :

١ ـ التعبير الطبيعي عن الانفعال عن طريق الاصوات •
٢ ـ التعبير الطبيعي عن الانفعال عن طريق الحركات الجسمانية •
٣ ـ التبير الارادي عن الانفعال عن طريق محاكاة النوع الاول •
٤ ـ التعبير الارادي عن الانفعـــال عن طريق محاكاة النوع الثاني •
٥ ـ التعبير عن المعاني عن طريق محاكاة اصوات الحيـوان ومظاهـــــر
الطبيعة •
٦ ـ التعبير عن المعاني عن طريق اللغة والجمل والكلمات •
٧ ـ التعبير عن المعاني عن طريق الاشارات اليدوية والجسمانية[٢] •

وعليه فان وسيلة التفاهم او الكلام قد انحدرت من الاشارة والايمـــاءة والحركة اصلا ثم انتقلت الى الرموز الصوتية بعد ذلك وقد صدرت تلك الاشارات والرموز تلقائيا وعفويا فى البداية ثم صدرت ارادية بعد ذلك •

---

(١) ينظر د• علي عبدالواحد وافي ، المصدر السابق ، ص ١١٩ •
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٧ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني : الاسباب التي ادت الى ظهور قواعد اللغة

كان لابد للجنس البشري من وضع ضوابط للرموز الصوتية المستعملة وللمفردات المتداولة لكي لاتصل كثرة الى الحد الذى يصبح من الصعب على الفرد ان يلم بكل جوانب اللغة ، فقد ظهرت الحاجة الى تصنيف الكلمات الى اصناف حسب المعاني التى تعبر عنها فقسمت الى اسماء والى افعال والى ظروف والى ادوات • وقسمت الاسماء الى اقسام مختلفة وقسمت الافعال الى ما يحدث في الماضي وما يحدث فى الوقت الحاضر وما سيحدث فى المستقبل وقسمت الظروف الى ظروف مكانية وظروف زمانية وقسمت الادوات الى ادوات وصل وادوات استفهام وادوات جر وغيرها • وظهرت الحاجة الى حصر المفردات بحدود معينة وظهرت الحاجة الى امكانية استعمال نفس المفردة لاكثر من معنى واحد بمجرد تغيير يسير فى اصواتها • كما ظهرت الحاجة الى استعمال نفس الحروف ولكن بترتيبات متنوعة لغرض تكوين كلمات مختلفة المعنى وكان لابد من ايجاد وسيلة لتثبيت هذه الضوابط والقواعد وبواسطة الكتابة استطاع البشر ان يتناقلوا تلك الضوابط وان يحفظوها وان يطبقوها •

وهناك عدة وسائل لتثبيت واقرار وتطوير القواعد اللغوية ويذكرها الدكتور ابراهيم انيس فى كتابه (اسرار اللغة) على انها طرائق نمو اللغة وعددها ستة : ١ـ القياس ٢ـ الاشتقاق ٣ـ القلب والابدال ٤ـ التحت ٥ ـ الارتجال ٦ـ الافتراض [١] •

وسنتعرض لبعضها باختصار :

اولا ـ القياس : « القياس بمثابة المكيال او الميزان الذى يبين لنا الصحيح من

---

(١) د• ابراهيم انيس ، من اسرار اللغة ط٣ ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٧ •

الزائف ، وما يقبل وما يرفض . وليس القياس الا استنباط مجهود من العلوم »[1] ويهدف القياس الى نقل التعبيرات والكلمات والمفردات من جيل الى جيل يتداولها الاخير من غير ان يعرف اصولها ومن غير ان يحلل اجزاءها وتعتبر تلك التعبيرات لدى الاجيال مقياسا لايجوز الخروج عنه وتعتبر القواعد التي جاءت اليهم من السلف اساسا ابنو نعليه ما قد يجد من امور . وتعتمد هذه الوسيلة على الاستنباط والاستخراج اى استنباط امر كان مجهولا من امر كان معلوما اما في لغتنا العربية فقد لجأ النحاة الى القياس منذ ان وضعوا اسس علم النحو وبدأ التأليف فيه فيروى (ابن سلام الجمحي) المتوفي سنة ٢٣٢ هـ في مقدمة كتابه (طبقات فحول الشعراء) ما نصه « وكان اول من اسس العربية وفتح بابها وانتهج سبيلها ووضع قياسها ابو الاسود الدؤلي »[2] وظهرت لدى العرب القدماء مدرستان تسيران على نهج القياس هما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة واشتهر البصريون في انهم اخذوا بالقياس على الشائع والمشهور فقط بعكس الكوفيين .

ثانيا ـ الاشتقاق : ويقصد به « استخراج لفظ من لفظ او صيغة من اخرى ، والقياس هو الاساس الذي تبني عليه هذه العملية »[3] .

وهكذا تعتمد هذه الوسيلة في الحقيقة على الوسيلة الاولى حيث يصبح المشتق هو المتداول «ان ابن جني كان ممن يؤمنون ايمانا قويا بوجود الرابطة العقلية المنطقية بين الاصوات والمدلولات او مايسميه بعض المحدثين بالرمزية الصوتية »[4] . والحق ان الاشتقاق سلاح ذو حدين فهو من جهة يساعد

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٠

(٢) د. ابراهيم انيس ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على ضبط اللغة وألفاظها وهو من جهة اخرى فى مجال التوسع باللغة .

ثالثا ـ القلب والابدال : ويقصد به المجيء بالفاظ جديدة تحل محل الالفاظ السابقة لها وهى تحمل نفس المعنى مع تغيير بعض حروفها او تغير نطقها ، وذلك نتيجة لاختلاف البيئة او اختلاف القبيلة . « اى ان الكلمة ذات المعنى الواحد حيو تروى لها المعاجم صورتين او تطبيقين ويكون الاختلاف بين الصورتين لايجاوز حرفا من حروفها ، نستطيع ان ننشرها على ان احدى الصورتين هي الأصل والاخرى فرع لها او تطور عنها »[1] مثل (جدف وجدف) . و (الاثافي والاثافي) .

رابعا ـ النحت : ويقصد به استخراج كلمة من عدة كلمات وهو بالحقيقة اختصار للجمل والعبارات وجعل الكلمة الواحدة بديلا لتلك الجملة او العبارة اذ تؤدى معناها . وهناك أمثلة كثيرة فى اللغة العربية من هذا القبيل تذكر كلمة البسملة للدلالة على عبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) وكلمة (كبر) اى قال (الله اكبر) .

خامسا ـ الاقتراض : ويقصد به اقتراض الفاظ وكلمات من لغات اخرى وتبنيها نتيجة لاحتكاك القبائل بعضها ببعض او لاقتراب الشعوب بعضها من بعضها . ونذكر على سبيل المثال استعارة اللغات التركية والفارسية من اللغة العربية الشيء الكثير . كما ان اللغات الاجنبية الاخرى اقتبست من اللغة العربية فكلمة (Coffee) الانكليزية استعيرت من كلمة (قهوة) وكلمة (Alcohol) استعيرت من كلمة (الكحول) .

ولقد بدأت اولى ضوابط اللغة فى اختراع الحروف وهى عبارة عن اصوات تأخذ شكلا معينا يحدده الاداة التى تكونها والمخرج الذى تخرج منه ونجد فى جميع اللغات نظائر الحروف للغة الاخرى وقد تختلف تلك النظائر فى بعض الجزئيات . فهناك حروف اللين او المد الثلاث الالف والواو والياء . وتتنوع عنها

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٩ .

حسب طبيعة كل لغة اصوات اخرى مقاربة وفي العربية ، هناك الحركات وهي مشتقة من حروف اللين • ثم ظهرت الحروف الصحيحة شيئا فشيئا وقد يزداد عدد هذه الحروف في بعض اللغات او قد ينقص • وقد تختلف بعض الحروف في صفاتها في هذه اللغة عنها في لغة اخرى • وتكونت الحروف الصحيحة بفعل اشتراك ادوات التشكيل في تكوينها ، اللسان والشفتين والاسنان وتكونت الكلمات من ربط بعض الحروف ببعضها الاخر • وكان لابد من تصنيف الكلمات حسب معانيها فقسمت الى اسماء والى افعال والى ادوات ثم ظهرت الحاجة الى تقسيم كل صنف من الاصناف الثلاثة الى اقسام اخرى تتشعب عنها • فقسم الاسم الى اسم علم والى صفة وقسم الفعل الى ماضي وحاضر ومستقبل وذلك حسب الزمن الذى يقع فيه الفعل • وقسمت الادوات الى ادوات نفي وادوات استفهام وادوات وصل وغير ذلك حسب عملها في الجمل وظهرت بعد ذلك الضمائر لتحل محل الاسماء في بعض المواقع وهكذا تطورت الضوابط وتفرعت القواعد الى الحد الذى لم تعد في متناول جميع الافراد بل اختص بمعرفتها اناس لهم خصائصهم ووسائلهم •

والحق ان ذلك التقسيم لاجزاء الكلام انما اعتمد على ثلاثة اسس وهي :

(١) المعنى – اى معنى الكلمة والقصد منها وهي ما يقع عليها او منها الفعل •
(٢) الصيغة – اى تركيب الكلمة بحيث لاتعبر عن القيام بفعل معين •
(٣) وظيفتها في الجملة – اى ما تؤدى من مهام او افعال وظهرت بعد ذلك قواعد النحو والصرف وهناك من يدعي ان تلك القواعد قد ظهرت نتيجة للعادة والتوارث حيث ينقلها السلف الى الخلف ويرتبط استخراجها وتداولها بالمنطق والفكر والدلالة • وتكاد تشترك الكثير من اللغات ببعض الضوابط والظواهر اللغوية ومنها :

١ – **المفرد والجمع** : كان لابد من التمييز بين الكلمات التى تعني الفرد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الواحد والتى تدل على اكثر من واحد • وهناك بعض اللغات تستعمل كلمة معينة للفرد وكلمة اخرى للجمع ولكن هناك لغات اخرى تستعمل نفس الكلمة للحالتين ولا اختلاف بينهما الا باضافة حرف واحد او تغيير حرف حرف كما هو الحال فى اللغات الاوربية • أما اللغة العربية فتلجأ الى تغير يسير فى الكلمة لاعطاءها صفة التميز بين المفرد والجمع كأن يضاف حرف الى الجمع مثل (رجل ـ رجال) او يحذف حرف مثل (كتاب ـ كتب)•

(٣) وظيفتها في الجملة ـ اى ما تؤدي من مهام او افعال وظهرت بعد ذلك الفرد الانثى والفرد الذكر لغرض التفريق بين الجنسين عند المخاطبة وهناك بعض اللغات تستعمل كلمة معينة للمذكر وكلمة اخرى للمؤنث فى حين ان هناك لغات اخرى تستعمل الكلمة للدلالتين ، وتستعمل نفس حروف الكلمة مع تغيير يسير كما هو الحال فى اللغة العربية حيث تستعمل الحركات للتميز بين الحالتين مثل (انت وانت) و (وذهبت وذهبت) •

٣ ـ **الماضي والحاضر والمستقبل :** كان لابد للانسان ان يفرق بين الازمان التى تقع فيها الاحداث والاوقات التى تمر عليه سواء فى حياته اليومية او خلال سنوات عمره •

يظهر ان الانسان الاول قد مر فى نفس المراحل التى يمر بها الطفل من حيث ادراكه للفكرة الزمنية فعرف اولا الزمن الحاضر وما يتضمنه من احداث لانها محل اهتمامه وعنايته فلما نما ادراكه وقويت ذاكرته بدأ يتذكر احداثا ، انتهت ومضى عليها بعض الوقت ، بعد ان تركت فى ذهنه اثرا قويا جعله يذكرها حينا بعد حين لاسيما حين تتكرر نفس التجارب الماضية او ما يشبهها وهكذا يربط الطفل بين احداث مضت واحداث لاتزال تمثل امامه • ثم لايلبث بعد قليل ان يتطلع الى احداث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تشوقه ، ويترقبها بفارغ الصبر • ولما رأى نحاة الـ ..
ثلاث صيغ للفعل أخصوا كلا منها بزمن من تلك الازمنة الثلاث وجعلوا الفعل المسمى بالماضي لكل حدث مضى وانتهى امره ، الا ان دخول (قد) على هذا الفعل يقربه من زمن الحال ، كما جعلوا الامر للزمن الحالي ، وجعلوا المضارع بالمستقبل ولا سيما حين يصل (بالسين) و (سوف) ، وفي قليل من الاحيان جعلوه للحال ايضا وحين تقوم قرينة في الكلام كاستعمال (ما) النافية مع الفعل ، مثل : «وماتدري نفس بأي ارض تموت »[1]•

وهكذا يكون الاثبات صيغة الفعل بالزمن مميزا له عن الاسم « فيتكون لذلك في ذهنه الصغير فكرة غامضة عن المستقبل ، تتضح شيئا فشيئا ولا يكاد الطفل يتم مراحل نمو اللغة ، حتى يكون تدارك معنى الزمن الماضي والزمن الحاضر والزمن المستقبل »[2] •

وعليه فأن استيعاب الوقت والزمن لايكون الا تدريجيا ولا يمر الا عبر التجارب والممارسة •

وهكذا فالانسان استطاع ان يميز زمن حدوث الافعال تدريجيا الى ان توضحت عنده الامور فقسم ذلك الزمن الى ثلاثة اقسام ، وفى بعض اللغات تستعمل كلمات مختلفة لكل زمن من الازمان ففى الانكليزية مثلا تستعمل كلمة (يذهب go) للحاضر وكلمة (ذهب Went) للماضي وفى لغات اخرى لايجرى سوى تغيير يسير على الكلمة نفسها لكي تعطي دلالة تغير زمن وقوع الفعل ، كما هى الحال فى اللغة العربية مثل

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ •
(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٠ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(يذهب) للحاضر و (ذهب) للماضي و (سيذهب) للمستقبل .

٤ ـ **الاثبات والنفي والاستفهام :** كان لابد من التمييز بين الكلمات او التعبيرات التي تدل على الاثبات والكلمات والتعبيرات التى تدل على النفي وهناك بعض اللغات تستعمل كلمة معينة للاثبات وكلمة اخرى للنفي ولكن هناك لغات اخرى تضيف اداة الى الكلمة لكي تتحول من الاثبات الى النفي كما هو الحال فى اللغة العربية وهناك لغات اخرى تحدث تغييرا واضحا فى التعبير للدلالة على النفي وكذلك الحال مع الاستفهام .

ويذكر الدكتور ابراهيم انيس بان النفي « لايكون عادة الا بأداة تشعر بهذا النفي ، فأذا خلا الكلام من اداة نفي ، وعبر مع هذا عن النفي عد مثل هذا نفيا ضمنيا ، يطمئن عنده المنطقي ويعده من طرق النفي ، ولكن اللغوي يأبى اعتباره من اساليب النفي »[1] .

وهكذا يمكن القول بان النفي قد تعتمد فى احيان كثيرة على نبرة الكلام وتنغيمه ولاشرط لوجود اداة النفي قبله .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٦٣ .

الفصل الثاني

تطـــــوير الكـــــلام

لقد نشأت اللغة وتطورت مع تطور الحياة الاجتماعية والظروف الاقتصادية واثرت في الحياة السياسية كما انها قد تأثرت بذالك التطور وعندما ظهرت الكتابة اصبحت اللغة واسطة لتجديد الحياة وظروفها المعيشية حيث اصبحت واسطة تنظيم للحياة والتوفيق بين الانسان وبيئته وتسخر الحياة لمصلحته • وساهمت اللغة في اظهار افكار جديدة لدى الجنس البشري وذلك عن طريق ادراك الافكار القديمة ونقلها وتداولها ومن ثم تطويرها وتجديدها ولقد اصبحت اللغة وسيلة لنقـــل التجارب الانسانية وانتشار العلوم والثقافة • ويبدو انه نتيجة لهذا التأثر والتأثير نمت اللغات على نحو سريع في فترة من فترات تاريخ الانسانية الى ان اخذت حالة من الاستقرار لتسير بعدها الى التجديد والاضافة والابتكار • ولعل اهم الاسباب التي دعت الى تطور اللغة ونموها ما يلي :

١ ـ الحاجة المتزايدة الى تنظيم العلاقات البشرية :

اذ ان المجتمعات اخذت تكبر شيئا فشيئ اوحاجات الافراد فى تلـك المجتمعات اخذت تتعقد ولذلك كان لابد من استحداث مفردات جـــديدة لتنظيم تلك العلاقات وتلبية تلك الحاجات ولحل المشاكل الناجمة عنها •

٢ ـ التقدم الحضاري وزيادة المعرفة :

عندما اخذت تتفتح عيون واذهان الجنس البشري على وسائل جديدة لتحسين ظروف الحياة ووسائلها ظهرت الضرورات لايجـــاد رمـــوز ومصطلحات وتعبيرات تعبر عن تلك التحسينات وتلك الوسائل •

٣ ـ تشابك اللغات :

وحيث ان لغة امة معينة قد تكون اكثر تقدما من لغة امة اخـــرى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من حيث تلبيتها لحاجات الناطقين بها وبحكم احتكاك الامم بعضها ببعض فأن بعض اللغات تسيطر على لغة اخرى وتحل محلها • « وكما حدث للغة العربية اذ تغلت على كثير من اللغات السابقة الاخرى وعلى اللغات القبطية والبربرية والكوشنتية ، حتى بلغ الان عدد الناطقين بها ما يزيد على المائة مليون انسان ينتمون الى نحو خمس عشرة امة بعد ان كانوا قديما لايتجاوزون بضعة آلاف يقطنون منطقة ضيقة فى الجنوب الغربي من بلاد العرب »[1] • هذا وقد كان للغة الالمانية نفس الدور فى التأثير على لغات اخرى •

ويمكن ان نضف عاملا آخر من عوامل تطور اللغة ونموها الا وهو :

انتقال البشر :

لم يستقر الافراد في مكان واحد من الكرة الارضية بل انتقل كثير منهم بين مناطقها المختلفة ، فمنهم من رحل واستقل فى اماكن اخرى ومنهم من غزا منطقة من المناطق وقطن فيها فترة من الزمن ثم تركها ليعود الى منطقته الاصلية وكان لهذا الانتشار والتنقل اثر فى انتشار اللغات ونموها ايضا •

وهكذا كان التقدم الحضارى والتنامي السكانى والتغييرات الجغرافية والمكانية اهم الاسباب فى نمو اللغة وانتشارها وقد تمثل ذلك النمو والانتشار فى اضافة مفردات جديدة وفى ظهور قواعد جديدة وفى ظهور موسيقى كلامية جديدة • ومن مظاهر تطور اللغة ، انتقالها من السلف الى الخلف وتأثيرها باللغات الاخرى وتأثيرها بالعوامل البيئية والاجتماعية والثقافية • وما علينا الان سوى استعراض اللغات البشرية الاولى التى ظهرت ونمت ثم مابقي منها وما انقرض •

---

(١) د• علي عبدالواحد وافي ، المصدر السابق ، ص ١٧٠ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فصائل اللغات : يمكن تقسيم اللغات الاصلية لدى الجنس البشـــري ما يأتي :

اولا : اللغات الهندية ـ الاوربية وهى اللغات التى انتشرت فى الهند وفى اوربـــا حتى أميركا • ويشمل هذا الصنف عدة لغات منها[1] الهندية الايرانية (الأرية) وتتفرع الى السنسكريتية والبراكرثية ، والهندية الحديثة • والايرانيـــة الحديثة والقديمة والكردية والقوقازية[1] • (٢) اللغة الارمنية وهى التى انتشرت فى آسيا الوسطى (٣) اللغة الاغريقية على اختلاف شعبها (٤) اللغة الالبانية (٥) اللغة الايطالية • وتشمل اللاتينية والرومانية وما يتفرع عنها من اصناف (٦) اللغة السكلتية والتى حلت محل اللغة الانكليزية والفرنسية •

(٧) اللغة الجرمانية وتشمل عدة شعب (٨) اللغات السلافية وتشمل اللتوانية والبروسية « غير ان عددا من اللغات الاوربية تخرج عن هذه الاســـرة • فاللغات الفنلندية والمجرية والاستونية (فى جمهورية استونيا السوفيتيـــة) تكون اسرة لغوية قائمة برأسها »[2] • ويتحدث بهذه اللغات اكثر من ١٨ مليونا •

ثانيا : اللغات الحامية ـ السامية : اما اللغات السامية في رأى الدكتور وافي فتشمل اللغات السامية الشمالية • وتشمل اللغات الاكديـــة Accadiqn او الاشورية **البابلية** Assyroe Babyloniennes واللغات الكنعانية العبرية والنبطية ، واللغات الآرامية •

٢ ـ اللغات السامية الجنوبية وتشمل العربية واليمنية القديمة واللغـــات الحبشية السامية »[3] أما اللغات الحامية فهى اللغات المصرية والقبطية والليبية

---

(١) ينظر المصدر السابق ، ص ١٩٧ •
(٢) د • محمود فهمي محجازي ، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثـة، القاهرة الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، ١٩٧٠ ص ١٠٨ •
(٣) د• عبدالواحد وافي ، المصدر السابق ، ص ٢٠١ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(البربرية) و (الكوشتية) .

هذا وقد تغلبت مجموعة من اللغات السامية على غيرها « فاللغات القبطية والبربرية قد انهزمت امام اللغة العربية ولم يبق من البربرية الآن الا فلول ضئيلة »[1] هذا وقد انقرضت لغات اخرى امام اللغات السامية نتيجة للصراع بينها .

ثالثا ـ اللغات الطورانية : وهى اللغات التى لاتنتمي الى احدى الطائفتين من اللغات الهندية ـ الاوربية ومنها التركية والمغولية ـ وهى متفرعة فى اساسها على اللغات الاخرى .

وهناك تقسيمات اخرى للغات ولا حاجة بنا الى التطرق اليها مادامت فى الحقيقة تنتمي الى احدى الفصائل السابقة او انها تشعبت عنها . وعندما نتطرق الى مميزات تلك اللغات فلابد من القول بأن :

اللغات الهندية ـ الاوربية تختلف عن اللغات السامية والحامية فيما يتعلق باصول الكلمات من اربعة وجوه احدها ان اصول الهندية ـ الاوربية ليست متحد في عدد اصواتها كما هو شأن الاصول السامية بل تختلف فى ذلك اختلافا كبيرا فمنها الثنائي ومنها الثلاثي ومنها الرباعي ـ وهلم جرا .

وثانيهما ان اصول الكلمات الهندية الاوربية ليست مؤلفة من اصوات ساكنة فحسب كما هو شأن الاصول السامية، بل تختلط فيها الاصوات الساكنة باللينة وثالثها أن اهمية الاصوات الساكنة لاتزيد فى اللغات الهندية ـ الاوربية عن اهمية الاصوات اللينة لافي الدلالة ولا فى النطق ولا

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في الرسم كما هو الشآن فى اللغات السامية ورابعها ان الاصل الدال على المعنى العام للكلمة هو نفسه بمنزلة كلمة مستقلة يمكن فصلها والنطق بها على حدة[1] .

وهكذا فان اوجه الاختلاف تنحصر فى دقائق الامور لافى مجملها وعمومياتها .

المبحث الاول : الاسباب التي ادت الى اختلاف اللغات

تعددت الاسباب والعوامل التى ساهمت فى اختلاف لغة عن اخرى ومن اهم تلك الاسباب .

اولا : الجنس والعرق : مما لاشك فيه ان التكوين الجسمانى لكل عرق من الجنس البشرى يختلف عن الآخرين حيث حجم اعضاء الجسم وغلاظتها او رقتها وخاصة فيما يتعلق بالاجهزة التى تساهم فى اظهار الصوت . فالعرق الاسود مثلا يمتاز باجسام ضخمة وحناجر كبيرة مما يؤدى الى تكون الاصوات الغليظة والقوية الرنانة لديه اما العرق الابيض فيمتاز باجسام اقل ضخامة وعناصر ارق عظما ولحما ولذا فان الاصوات لذلك العرق لاتكون بقوة وضخامة العرق الاسود فى حين ان العرق الاصفر يمتاز برقة فى الاجهزة الصوتية وتكون اصواته تبعا لذلك ارق واخف ، بالاضافة الى ان التكوين الجسمانى وطبيعته التشريحية تؤثر على ايقاع البشر فى حركتهم وفى كلامهم وهذا يؤثر على ايقاع الكلام وسرعته وعلى ثقله او خفته وعلى موسيقاه كذلك . ولذلك نلاحظ كلام الصيني سريع ومتقطع وخفيف على حين يكون كلام الافريقى ثقيلا وبطيئا وعليه فأن اللغة تتطور من ناحية الاصوات وفقا لطبيعة اعضاء النطق وتطورها .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عدد افراد الآخر زيادة كبيرة • ففي هذه الحالة تتغلب لغة اكثرهما عددا سواءا كانت لغة الغالب ام المغلوب ، لغة الاصيل ام الدخيل • وذلك انه عند انعدام النوع يتحكم الكم فى مصير الامور ولكن هذه النتيجة لاتحدث الا اذا كانت اللغتان المتصارعتان من شعبة لغوية واحدة لاشعبتين متقاربتين •

(الحالة الثانية) ان يكون الشعب الغالب ارقى من الشعب المغلوب بحضارته وثقافته وآداب لغته ، واشد منه بأسا واوسع نفوذا • ففي هذه الحالة يكتب النصر للغته فتصبح لغة جميع السكان ، وان من قل عدد افراده عن افراد الشعب المغلوب وعلى شريطة ان تدوم غلبته وقوته مدة كافية او ان تقيم بصفة دائمة جالية يعتد بها من افراده في بلاد الشعب المغلوب او ان تتمتزج بافراد هذا الشعب ، وان تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة او من شعبتين متقاربتين[1] •

عوامل تغلب لغة على اخرى :

من اهم العوامل التى ادت الى تغلب لغة امة على لغة امة اخرى هي :

١ ـ تغلب لغة الامة التى تكثر فى العدد على لغة الامة التى تقل عن الاولى عددا وان كان التقدم الفكري للاثنين متقاربا • ومن الامثلة على ذلك تغلب اللغة الانكليزية السكسونية على اللغة السلتية فى اوربا •

٢ ـ تغلب لغة امة اكثر ثقافة وتقدما فكريا من امة اخرى وفى هذه نرى ان التغلب يكون طبيعيا فى اكثر الاحوال ومن امثلته تغلب اللغة اللاتينية بعد فتوح الرومان لاوربا على اللغات الايطالية والاسبانية •

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٢ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني : التأثيرات الخارجية على اللغة

لقد اثرت بعض العوامل الخارجية او المقصودة لتطـــور بعض اللغات ولعل اهم تلك العوامل :

اولا ـ استخدام وسائل التعليم : ان استخدام الكتابة والقراءة ووسائـل نشر التعليم كان له الاثر الكبير فى تطوير بعض اللغات وتبدل بعض الفاظها سواء في اختزال بعض المفردات او اضافة مفردات اخرى او تشذيب بعض القواعد والاستغناء عن بعض الضوابط او وضع ضوابط جديدة تسهل التعامل باللغة • وفى هذا المجال استعملت الكثير من الوسائل ومنها :

١ ـ **وسائل الايضـــاح :** لقد كان لوسائل الايضاح اثر فى تبسيط اللغة وتكلمها ومن جملة وسائل الايضاح الصورة التى يستخدمها المعلم وفيهـــا يحاول تشبيه الحرف بمادة رآها المتعلم او تصورها كأن يرسم حرف الباء اشبه بالاناء ويضع تحته نقطة • او ان يرسم اللام اشبه بعصا مقلوبة وهكذا وهناك عدة انواع من الرسم اللغوي فمنها الرسم الذي يعبر عن المعنى اذ يكون لكل معنى او كلمة رسم معين وهناك الرسم الصوتى اى ان يوضع لكل صوت رسم معين •

٢ ـ **التجديد اللغوي :** لقد عمد الكثير من العلماء والادبـاء على تجديد لغاتهم عن طريق التأثر بلغات اخرى او عن طريق اقتباسهم من مفرداتها وتعابيرها ومن جملة مظاهر التجديد احياء بعض المفردات التي اندثرت لفترة ولكن المجددين رأوا احياءها لمـــا تحمل من معان جميلة ونافعة وحدث ذلك فى لغـــة الشعر على الغالب •

٣ ـ **تبني الالفاظ الجديدة :** بحكم التقدم العلمي والحضاري فقد ظهرت مصطلحات لم تكن مستعملة فى لغة من اللغات فكان لابد من ايجاد نظائر لها باللغة الاصلية او كان لابد من استعمال نفس الالفاظ التى تستعلها اللغـــة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاجنبية مع تغيير يسير او بدونه ومثلا على ذلك كلمة (كومبيوتر) او كلمة (تلفون) او كلمة (تلفزيون) التى يستعملها الناطقون بالعربية فى الوقت الحاضر .

٤ ـ **حركة التأليف والترجمة :** كان لهذه الحركة فوائد كبيرة فى تطوير اللغات حيث يتم بواسطتها استخدام مفردات جديدة او اكتشاف تعبيرات جديدة . كما يتم بواسطتها تحسين الاساليب وتيسيرها[1] .

ثانيا ـ التطور الفكري العام : للتقدم الفكري بصورة عامة تأثير كبير في تطوير اللغة وتغير العديد من مفرداتها وقواعدها « وقد ثبت بشكل لايقبل الشك او الجدل انه من غير الممكن ان يكشف الباحث عن جوهر اللغة والفكر دون ان يستوعب الصلة العضوية بينهما والاثر المتبادل الذي يترك كل منهما فى صاحبه من الناحية التطورية فى النوع الانساني باسره وفى مجرى حياة الفرد »[2] . والحق ان التطور الفكرى لايتحقق من غير مؤثرات وعوامل خارجية تحتمه ومن تلك العوامل ظروف الحياة الاقتصادية المتخلفة فى بعض المناطق والمتقدمة فى مناطق اخرى تلك التى تستدعي من المفكرين ان يوجدوا الوسائل الكفيلة بتحسينها او تغيرها سواء عن طريق الدعوة لتغير نظام الحكم او لوضع قوانين جديدة لتسيير دفة الحلاة .

ثالثا ـ تأثيرات الاحتكاك بالآخرين : سبق ان اشرنا الى تأثير الحروب والغزوات فى لغة امة من الامم وما يدخله الغزاة على لغة الامة المقهورة من لغتهم وما يحملونه هم من لغة البلد المهزوم وهناك عوامل اخرى تحدث مثل ذلك التأثير نذكر منها العلاقات التجارية بين منطقة واخرى حيث يحمل التجار معهم الى البلد الذى يزورونه طابع لغتهم ويدخلون بعض مفرداتها على لغة الغير وحيث ان المواد التى يتاجرون بها تحمل طابع بلدهم وامتهم

---

(١) راجع المصدر السابق ، ط ٧ ، ص ٢٦٨ ـ ٢٨٤ .
(٢) د. نورى جعفر ، المصدر السابق ، ص ١٢١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهم يحملون بعض التقاليد التى لها صفات خاصة بهم فينقلون شيئا منها الى الاخرى ومثال ذلك ما نقله العرب من الفاظ وتعبيرات ومصطلحات الى الغرب كما هو الحال مع الشطرنج • هذا وان التجاوز يحدث بعض التأثيرات من لغة كل بلد او امة ويكون ذلك واضحا على اللهجات كما سنأتي على شرحه فى الباب الثانى من هذا الكتاب •

لقد جهز الانسان نفسه منذ خمس مئة الف سنة بادوات واسلحة واواني سواء مما صنعه بيده او مما اعده بنفسه وبضمنها الآلات الحجرية التى ما زالت موجودة حتى اليوم ، وقبل اربعين الف سنة حين لم يكن العقل الانسانى كما هو الآن من حيث التطور فقد كان الانسان يصور بالرسم وبالصوت نماذج ورموز للمخلوقات الحيوية وحركتها بما يوفر متعة جمالية وخلال الزمن الذى صار به الكلام وسيلة كاملة للتفاهم فمن المحتمل ان الانسان كان قد استعمل بعض الوسائل المادية البديلة عن الكلام دامت لفترة معينة من الزمن واختفت بعد ظهور الكلام •

المبحث الثالث : اللغة العربية وتطورها

سبق ان ذكرنا ان اللغة العربية هى فرع من اللغة السامية وكان موطنها الاول شبه جزيرة العرب • والحق انها تؤلف مع اللغات الحية القديمة واللغات الحبشية ـ السامية شعبة لغوية واحدة تسمى اللغة السامية الجنوبية • وقد كان موطنها الاصلي بلاد الحجاز ونجد وما جاورها • وتقسم اللغة العربية القديمة الى قسمين كل قسم يتبع مرحلة من مراحل التاريخ وهما:

ا ـ **اللغة العربية البائدة :** وهى لغة العشائر العربية التى كانت تستوطن شبه الجزيرة وقد استطاع العلماء ان يجلوها من رسومها ونقوشها العربية مثل (ذ ن ، ل ق ض ، ب ن ث ، ع ب د ، م ن ت) ، وترجمتها لغويا (هذا القبر لقيض بنت عبدمناة) •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ ـ **اللغة العربية الباقية :** وهى لغة قريش التى تغلبت على غيرها من اللهجات العربية القديمة وذلك لعدة اسباب اهمها: العامل الديني حيث ظهر الدين الاسلامي الحنيف وانتشر على يد قريش • وكذلك سلطان هذه القبيلة الاقتصادي حيث كانت تتعاطى التجارة وتسيطر على السوق والحياة الاقتصادية • ومن موضع قريش ومكان موقعها بالنسبة للقبائل الاخرى حيث عاشت فى مكة مركز المنطقة ومكان جذب الناس • ومن الجدير بالذكر ان القرآن الكريم قد نزل بلغة قريش حيث ان الرسول عليه الصلاة والسلام من تلك القبيلة • ومع ذلك فقد اخذت لغة قريش بعض ملامح اللهجات العربية الاخرى نتيجة الاحتكاك بها •

> ان اللغة المنتصرة لاتخرج سليمة من صراعها بل ان طول احتكاكها باللغات الاخرى وشبه كفاحها معها (مع اللغات الاخرى) وما تبديه بعض اللغات المقهورة من مقاومة كل ذلك وما اليه يترك فى اللغة الغالبة آثار كثيرة من اللغات المغلوبة في نواحي الصوت والقواعد والاساليب وينقل اليها كثير من مفرداتها[1] •

وكان ثانى الاسباب خصوصيات قريش واهتمامها بالشؤون الاجتماعية وسيطرتها على الشؤون الاقتصادية وموقعها فى الامور الحكومية والقضائية • وقد مكنها من استعمال الفاظ وتعبيرات جديدة تتلاءم وحاجاتها •

وثالث تلك الاسباب ما كانت تؤديه الاسواق من دور فعال فى تنمية اللغة وتطورها حيث كان يجتمع الناس قبل موسم الحج فى تلك الاسواق يتبارون بالشعر ويحاول كل شاعر ان يستخدم مفردات جديدة ومن امثلة تلك الاسواق ، سوق عكاظ وذو المجاز وغيرها •

---

(١) د• علي عبدالواحد وافي ، فقه اللغة ، القاهرة ، ط ٧ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٢ ، ص ١١٤ـ١١٥ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رابع تلك الاسباب الحروب وايامها التى خاضتها قبائل العرب سواء بعضها مع بعض او بينها وبين الاجانب • كما هى الحال فى حرب (البسوس) بين بكر وتغلب و (داحس والغبراء) بين عبس وذبيان • وقد لجأ القواد والرؤساء والسادة الى الكلام البليغ لحث الجنود على القتال واسناد معنوياتهم واثارة حماسهم •

خامس تلك الاسباب نزول القرآن وما جاء به من مفردات ومن قواعد واصول وكذلك مجيء الحديث النبوي ، وقد ساعد القرآن الكريم والحديث على تقوية اللغة وتهذيبها وتنميتها وتثبيتها •

ولم يكتف العرب فى تلك الفترة بما سلف ذكره ولكنهم كانوا مبتكرين ومجددين فى مجال اللغة حيث ان ظروف الحال والحياة وعلاقاتهم مع الآخرين كانت تضطرهم الى ايجاد مفردات وقواعد جديدة « وقد جرت عادتهم فى الغالب ان يبحثوا للمعنى الجديد عن لفظ عربى عن طريق الاشتقاق والنحت والمجاز فاذا اعيتهم الحيلة عمدوا الى تعريب الاسم الاجنبي »[1] • ولذلك فقد اضطر العرب فى زمن الاسلام الى الاستغناء عن كثير من الالفاظ العربية التى كانت تستعملها زمن الجاهلية والتى كانت تتعارض مع النظم التى جاءت بها عن مبادىء الدين ومثل ذلك اسماء المناصب كرئيس القبيلة مثل كلمات (المرباع) و (الضايا) و (المنشيط) وغيرها • والالفاظ التى تدل على الضريبة مثل (المكس) و (التوافج) والاخيرة تعني الابل التى تقدم كصداق • وكذلك استبدل الاسلام اسماء الايام والاشهر التى لها دلالات وثنية فاستعملت مثلا كلمة (السبت) محل (شبيار) •

وسبق ان ذكرنا ان البيئة والمناخ تؤثران فى طبيعة اللغة ونظمها ورموزها الصوتية والحق « ان هذه البيئة حافلة بمظاهر البداوة على ارض فسيحة تخترقها

---

(١) د• علي عبدالواحد وافي ، فقه اللغة ، ط٧ ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بيد وفلوات تضطرب فيها قبائل تتخذ مساكنها هنا وهناك »[1] وطبيعي ان تؤثر تلك البيئة على طبيعة الحياة وعلاقات البشر وعلى طبيعة الكلام الذى يتداولونه من حيث الايقاع ومن حيث نوعية الحروف وتركيب الكلمات • وقد اعتمد العرب فـــى حياتهم الاقتصادية على الزراعة وقد ظهر تأثير ذلك فى كلامهم وتعبيراتهم مثال ذلـــك :

فانبتنا خضـارم ناضرات •••• يكون نتاجهـــا عنبا وتينا

وقد عبر عن ذلك اكثر الشعراء القدماء وذلك بالبكاء على الديار والاطلال وعن الطبيعة القاسية حيث الحر الشديد فى القفار وقد تغنوا بالحيوانات التى تعيش في الصحراء كالجمل ، وجاءت جميع تعبيراتهم تدور حول هذه الاجواء وهنا نذكر بعض الامثلة كقول الشاعر :

حافر البيد الى ارضـــنا اخر الليل بيعفور حذر

وقول الشاعر :

اذا ما قمت ارجلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين

وقد كان كثير من الالفاظ العربية متشعبة من اوصاف الحيوانات فكلمة نير مثلا التى تعبر عن نير العبودية مأخوذة من اداة توضع فى رقبة الثور ، وتعبيـــر (يحدوه الى الامر) مأخوذة من كلمة (حداء) وهو غناء الرعيان ، وتعبيـــر (الاناقة) من قولهم (نوقت البعير) •

والحق ان تثبيت اصل اللغة بعد استقرارها يعزى الى القرآن الكريم لاسيما وان كتاب الله الكريم قد حقق وثبت مفردات اللغة واصولها واعرابها وتصريفهـا وغير ذلك من القواعد • وقد اشتهر البصريون والكوفيون فى المحافظة على اصول اللغة العربية وقواعدها • « لقد اتخذ البصريون الرواية عن الاعراب وسيلة لضبط اللغة وجمعها ومعرفة غريبها ونوادرها وما يتصل بذلك من شعر واخبار لتوثيـــق

---

(١) د• ابراهيم السامرائي ، العربية بين امسها وحاضرها ، بغداد وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٧٨ ، ص ٥٩ •

تلك الاصول اللغوية التى شملت العربية فى اصولها واشتقاقها ولغاتها »[1] وبالرغم من ان اللغة العربية فى بدايتها قد تأثرت بحياة البداوة وكان المفروض ان تتوحد لهجاتها ولكن ظهرت مع ذلك بعض الفوارق اللغوية فى انفصال الجماعات والقبائل بعضها عن بعض وسبب صعوبة التنقل والاحتكاك ورحابة ارض شبه الجزيرة العربية • ويذكر الدكتور السامرائي « ان تاريخ العربية منذ بداية عصر بني العباس ذو قيمة تاريخية فقد ظهرت عربية المدن المولدة الجديدة وصار السبيل الى اللغة الفصيحة لايوصل اليه الا بالتعليم والقصد »[2] •

مميزات اللغة العربية : تميزت اللغة العربية القديمة بعدة مميزات وخصائص مما جعلها لغة حية ومنتشرة وفق تلك المميزات •

١ ـ محافظتها على الاصوات السامية الاصيلة وبالاضافة الى ذلك فقد اضافت اصواتا اخرى جديدة •

٢ ـ كانت اللغة العربية اوسع شقيقاتها من اللغات وادق فى مجال النحو والصرف ففيها مرونة كافية لاستغلال الفعل باستعمالات متنوعة •

٣ ـ كانت اللغة العربية اثرى من جميع اللغات فى اصول الكلمات والمفردات •

٤ ـ تتميز اللغة العربية بوجود خمسة عشر مخرجا جوفيا وحلقيا للاصوات ومنها مخارج حروف اللين والهمزة والهاء والحاء ومخرجان شفويان هما مخرجا الباء والفاء وتسعة مخارج لسانية وهى مخارج الحروف الاخرى •

وللحروف العربية عدة صفات يمكن اجمالها بما يلي :ـ

١ ـ **الجهر والهمس :** فهناك حروف مجهورة يتحرك مع خروجها الوتران الصوتيان الموجودان فى الحنجرة ومنها حروف اللين والدال والذال وغيرها •

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٥ •
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٥ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ ـ **الشدة والرخاوة :** فهناك حـــروف تخرج شديدة نتيجة لانفـــراج اعضاء تشكيل الحرف فجأة مثل الدال والتاء وهناك حروف رخوة تظهر نتيجة لاحتكاك الهواء بأدوات التشكيل وتستطيل في خروجها مثل الحروف الحقيقية كالحاء والخاء ، والحروف الصفيرية ، كالسين والصاد والزاء • وهنـاك حروف وسط بين الاثنين هي الراء واللام والميم[١] •

٣ ـ **الاطباق والانفتاح :** ويقصد بالاطباق انطباق اللســـان على اداة تشكيل اخرى كاللثة او سقف الفم وانحصار الصوت بينهما • واحـــرف الانطباق هي الصاد والضاد والطاء والظاء ، اما الانفتاح فيقصد به العكس وفيه الحروف الاخرى انفتاحية •

٤ ـ **الاستعلاء والانخفاض :** ويقصد بالاستعلاء علو الحنك اثناء نطق الحرف ، اما الانخفاض فيقصد به الضد • ومن حروف الاستعلاء الخـــاء والعين والقاف وما عداها فهي حروف انخفاض •

٥ ـ **الذلاقـــة :** ويقصد بها خفة الصوت في اثناء الكلام اى سرعـــة تكون الحروف وخروجها من مخارجها ومن هذا الحروف الميـم والراء والنون واللام •

٦ ـ **الصفير والحفيف :** ويقصد به خروج صوت الحرف بما يشبه الصفير كحرف السين والشين والصاد والزاء ، وما يشبه الحفيف كالخاء والحاء والغين[٢] • ومن مميزات اللغة العربية كذلك مطابقة اصواتها لمعاني الكلمات اى محاكاتها او ما يسمى بالجرس الصوتي ويمكن توزيع هذه المطابقة على عدة حقول •

---

(١) راجع سامي عبدالحميد وبدري حسون فريد، فن الالقاء ، الجزء الاول، بغداد ، وزارة التعليم العالي والبحث العـــلمي ، ١٩٨٠ ، ص ١١٥ ، ١١٦ •

(٢) ينظر د• علي عبدالواحد وافي ، المصدر السابق ، ط٧ ، ص ١٦٤ ـ ١٦٨ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١ ـ ما يتعلق بالانسان : فكلمات مثل (القهقهة) و (المنطق) (التنغيم) (الضوضاء) (الصراخ) ، (الزعيق) (الزفير) و (الشهيـــق) (الحشرجة) (الشخير) (القرقرة) كلها تعطي صفة الصوت الذى يطلقه الانسان عند القيام بالفعل .

٢ ـ مايتعلق بالحيوان : فكلمات مثل (الهدير ـ للجمل) و (النهيق ـ للحمار) و (الخوار ـ للبقر) و (الثغاء ـ للغنم) و (الزئـير ـ للاسد) و والنباح ـ للكلب) و (الهديل ـ للحمام) و (الزقزقة ـ للعصفور) و (الفحيح ـ للحية) كلها تعبر فعلا عن الصوت الذى الذى يصدر من الحيوانات .

٣ ـ ما يتعلق بالاشياء : فكلمات مثل (الخرير ـ للماء) و (الازيـــر ـ للمرجل) و (الهزير ـ للريح) و (الغرغرة ـ لصوت الماء من الانبه) و (الشحب ـ للبن) و (الحسيس ـ للنار) و (الهزيع ـ للرعد) و (الجعجعة ـ للرحى) و (الصرير ـ للقلم) وغيرها كثيرة[١] .

« ومثل الرأى لهذه الاصوات الدالة على مناسبتها الطبيعية بالاصوات التى يعبر بها الانسان عند الراحة او الوجع ، فيقول : اخ ، وعند السعال قد يقول اح اح ، وكذلك صوت القط كأنه يشبه قول قطا ، وصوت اللقلق ، وكأنه يقـــول لق ـ لق »[٢] .

تأثير اللغة العربية في اللغات الاخرى: سبق وان اشرنا على تأثير اللغة الواحدة على الاخرى وسبق ان اشرنا الى تأثير اللغة العربيه فى اللغات الاخرى وسوف نلقي الضوء على بعض تلك التأثيرات .

---

(١) راجع المصدر السابق ، ص ١٧٥ ـ ١٧٧ .
(٢) د. ماهر مهدى هلال ، جرس الالفاظ ودلالتها فى البحث البلاغي والنقدى عند العرب ، بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٨٠ ، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد اثرت اللغة العربية فى اللاتينية نتيجة للتجارة اولا ونتيجة لانتشـــار الاسلام فى مناطق كثيرة من البلاد التى سادت بها اللاتينية ولعل ابرز مثال على ذلك لكلمة جمل التي هي في اللاتينية (Camelus) وكلمة الفيل التي هي في اللاتينية (elephus) وكلمة القلم التي هي في اللاتينيـــة (Calamus)

لقد اثرت اللغة العربية فى اللغة الفارسية والاغريقية كما اثرت فى اللغات التى عاشت فى وادى الرافدين كالبابلية والاكدية وامثلة على ذلك كثيرة منها « كلمة (بابل) نفسها عربية لان اصلها البابلي (باب‌ايلو) اى باب (الاله ، او باب الله »[1] .

المبحث الرابع : تمارين وتطبيقات :

١ ـ يكلف طالب باستخراج مجموعة من الكلمات والمفرداتالعربية التى تستعملها اللغات الاخرى .

٢ ـ يكلف كل طالب باستخراج مجموعة من المفردات والكلمات الاجنبية التي استخدمت فى اللغة العربية وبيان مصدرها .

٣ ـ يكلف كل طالب باستخراج عدد من الكلمات العربية مع ايجاد اكبر عـدد ممكن من مرادفاتها .

٤ ـ يكلف كل طالب باستخراج اشتقاقات عدد من الافعال يفرزه هو بالنسبة لكل طالب .

٥ ـ يكلف كل طالب بتقديم مجموعة من الكلمات غير ماذكر فى هذا الكتاب من التى يتطابق الجرس الصوتى فيها مع معانيها .

٦ ـ يكلف الطلبة بالقاء مقاطع من مقامات بديع الزمان الهمدانى او مقامـــات الحريرى .

---

(١) د. عبدالحق فاضل ، مغامرات لغوية ، بيروت ، دار العلم للملايين ص ١٧٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٧ ـ يكلف الطلبة بالقاء مقاطع من كتاب (البخلاء) للجاحظ وذلك باقتباس مشاهد تمثيلية منه قدر الامكان •

٨ ـ يكلف الطالب بالقاء مقاطع من مؤلفات ابى حيان التوحيدى بصورة تمثيلية •

٩ ـ يكلف الطلبة بالقاء مقاطع من كتاب (كليله ودمنه) بشكل تمثيلي •

١٠ ـ يكلف الطلبة بتلاوة مقاطع من القرآن الكريم وذلك بشكل مرتل او بالقاء اعتيادى •

١١ـ يكلف الطلبة بالقاء عدد من الابيات للشعراء العرب القدماء كأمرىء القيس والبحترى والمتنبي وابى العلاء المعرى والخنساء •

١٢ـ يكلف الطلبة بالقاء عدد من الخطب العربية القديمة من غير تلك التى تمرنوا على القائها فى السنوات السابقة •

١٣ـ يتمرن الطلبة على القاء الاشعار التالية :

جـزى الله فيمـا بيننا شيخ مسمع

جـزاء المسي حيث امسى واشرقا

جـزى الله تيماً من اخ كان يتقي

محـارم تيم ما اخـف وارهقـا

★ ● ★

اشـجاك الربـع ام

رمـاد دارس حممـه

كسطـور الـرق رفشـه

بالضـحى مـرفش تسمـه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كأن حـــدوج المالكيـــة غدوة

خلايـا سفين بالنواصـــف من دد

عدولية او من ســـفين ابن ناسها

يجور بهـــا الملامح طورا ويهتدى



١٤- يتمرن الطلبة على القاء الابيات التالية :

اذا مـــا كنت في نوم شـــهادي

فـــلا تجعـــل شمالك جرد بـانا



الباب الثاني

نشـــوء اللهجـــات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقـــــــدمة

ان دراسة اللهجات فى بلدان العالم كافة ، قد اخذت منذ زمن غير قصير ، جانبا كبيرا من الاهتمام من قبل الاوساط الاكاديمية والادبيـــة فيها لاسباب تتعلق بالدراسات اللغوية والبلاغية والاجتماعية ايضا · وقد سعت امم كثيرة ، وخاصة فى عصور نهضتها بدراسة تلك اللهجات المتعددة الخاصة بها ، وانتقاء اللهجة المفضلة الحسنة التى تتوفر فيها قسط كبير من سلامة اللغة ، مفردة ، وصوتا ودلالة ·

وعلى الرغم من ان هذا السعي الحثيث قد قامت بها امم عديدة منذ زمن غير قصير وحتى الان ، الا اننا نجد مع ذلك تعايش لهجات متعددة للغة الفصحى المختارة وتسايرها معها ، نتيجة لاسباب عديدة ، منهـــــا اسباب ثقافية واجتماعية واقتصادية ونفسية ، وسياسية ·

ومن هذا المنطلق ، فان دراسة اللهجات للغات الاجنبية عموما فـــي بلدان العالم كافة ، اصبحت من الامور المهمة ، وجديرة بالعناية والرعاية، لا لدارسي الادب واللغة والاجتماع ··· الخ فحسب ، بل انها اصبحـــت ضرورة حضارية اولا ، وعلمية ثانيا ، خاصة للطلبة الذين يحـــاولون دراسة لغة اجنبية جديدة دراسة وافية ، انه يتحتم على الطالب الدارس للغة اجنبية ، ان يتعلم ويحسن استعمال اللغة الفصحى الاجنبية التى لهـا لهجة مختارة غير أنه اذا ما أراد ان يتوغل فى معرفة اسرار تلك اللغـــة والمجتمع ، من النواحي كافة ، وجب عليه أن يدرس اللهجات الاخـــرى المسايرة للغة الفصحى المختارة والمعتمدة لاسباب تتعلق بامور عديدة اهمها ما يأتي :

اولا : ان المناطق المختلفة فى بلد ما ، او امة ما ، تفرز لهجات خاصـــة بها ، فاللهجة العربية الدارجة فى مصر ، تختلف عن اللهجة الدارجة فى العراق ، او المغرب ، او اليمن ··· الخ ، واللهجة الانجليزية في سكس بانجلترا تختلف كذلك عن اللهجة الانكليزية المستعملة فـــي تكساس بامريكا · وكذلك توجد فوارق فى اللغة الفرنسية من حيث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لهجاتها فى فرنسا وبلجيكا · ويرجع المختصون اسباب هذه الاختلافات فى اللهجات فى اللغات كافة الى تباين واختلاف المناطق تلك من حيث البيئة والظروف المعاشية فيها(١) ·

ثانيا : وهناك سبب آخر ، يحتم على الطالب الدارس للغة الاجنبية ان يلم باللهجات المختلفة المرافقة لتلك اللغة ، ذلك ان الطبقات الاجتماعية المختلفة تفرز لهجات خاصة بها ، وان كانت تلك الطبقات الاجتماعية المختلفة تعيش فى منطقة جغرافية واحدة ، فلهجة العمال فى مدينة ما ، تختلف عن لهجة الفلاحين فيها ، وهكذا(٢) ·

ومهما يكن من أمر ، فان المسالة لاتتعلق بفائدة الطالب الدارس للغة الاجنبية فحسب ، بل انها كما اشرنا من قبل ، قد اصبحت مسالة هامة جدا بحيث قد اعتبرت دراسة اللهجات من احدث الاتجاهات فى البحوث اللغوية ، وقد وجدت لها سبيلا ونمت فى الجامعات الاوربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين(٣) ·

وقد توصل علماء الغرب الى مجهود علمي كبير ، اذ عملوا على تجميع وتصنيف معظم لغات العالم المعروفة الى سلالات لغوية ، ضمن دراسات لغوية تاريخية ، كما انهم قد اهتموا ايضا بدراسة اللهجات الحديثة ، وبذلوا الجهد الجهيد بتحديد مواصفاتها (على الرغم من ان مفهوم اللهجة نفسه غير محدد تماما) وقاموا ايضا بدراسة اللهجات حسب التوزيع الجغرافى

---

(١) ينظر علي القاسمي ـ مختبر اللغة ، ط١ ، بيروت ، مطابع دار الكتب ، دار القلم ، ١٩٧٠ ، ص ١٧٣ ·

(٢) ينظر المصدر نفسه ، ص ١٧٤ ·

(٣) ينظر د· ابراهيم انيس ـ فى اللهجات العربية ، ط ٣ ، القاهرة ، المطبعة الفنية الحديثة ، ملتزم الطبع والنشر ، مكتبة الانجلو المصرية (من مقدمة الطبعة الاولى) ١٩٦٥ ، ص ٩ ·

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في البلد الواحد ، ووفروا المعاجم اللغوية ، والدراسات والاطالس التي توضح وتبين مواصفات تلك اللهجات(١) .

هذا ما حدث فعلا في اوربا منذ القرن التاسع عشر وحتى الآن ، ولكن الامر يختلف بالنسبة الى دراسة اللهجات العربية القديمة والباحثين فيها « وتقاعسنا نحن كثيرا في هذا المضمار سواء فيما يتعلق بدراسات اللهجات العربية القديمة التي كانت سائدة في الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام وبعده والتي حملها العرب معهم في فتوحاتهم الى البلدان التي فتحوها »(٢) .

وبالرغم من ان هناك تقاعسا ملحوظا في هذا المجال ، الا انه لابد ان تكون هناك اسباب اخرى قد عملت على تحجيم مثل هذا النشاط اللغوي . ان بعض الآراء تشير الى ان مثل هذه الدراسات اللغوية عن اللهجات العربية القديمة ، تتطلب عملا شاقا للغاية ، وتحتاج الى مجهودات مضنية تتصدى لها هيئات علمية متخصصة ، او انفار من العلماء المتخصصين يعملون بجد ونشاط في غرف عمل وبتفرغ تام في الكليات والمعاهد والمجامع اللغوية في الاقطار العربية كافة(٣) .

هذا سبب مهم ، وبالاضافة الى ذلك ، فان البحث العلمي يحتاج الى مادة خصبة ، وخلفية طيبة من المعلومات والآراء ، حتى يمكن للباحثين العرب

---

(١) ينظر د. نايف توما ـ اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، الكويت ، مطابع اليقظة ، من سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، ١٩٧٨ ، ص ٢٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٧ .

(٣) ينظر ـ المصدر نفسه ، ص ٢٢٧ وينظر كذلك د. ابراهيم انيس ـ المصدر السابق ، ص ١٤ . وينظر كذلك د. علي عبدالواحد وافي ـ فقه اللغة ، ط ٦ ، ص ١٤٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو المستشرقين من ان ينهضوا بمهماتهم فى البحث والتنقيب والتقييم ، ليستخرجوا بعد ذلك القوانين او التنظيرات العلمية التى ينبغي ان تسير على منهج علمي ، الا ان الواقع يدل عكس ذلك بالضبط · ان ما توفر للعلماء والباحثين العرب من مواد وآثار تخص اللهجات العربية القديمة ، هى بعض روايات الاقدمين التى جاءت مبتورة حينا ومشوهة فى حين آخر ، والتي تناثرت فى بطون كتب النحو والادب واللغة والتاريخ(١) ·

ومع ذلك ، فقد نهضت بعض الدراسات العلمية من قبل علماء وباحثين عرب ، وطلاب الدراسات العليا فى الجامعات العربية ، وبعض المستشرقين ، واستطاعوا بعد جهد شاق مرير ، من ان يكتبوا ابحاثا ودراسات واطاريح ، عن اللهجات العربية القديمة(٢) ، بعد أن توسلوا في دراساتهم تلك الى ينابيع اخرى ، هى ليست فقط روايات الاقدمين المنثورة فى كتب الادب والنحو واللغة والتاريخ ـ وسجلوا آراء فى هذا المجال ـ الا انها تبقى ـ أى تلك الآراء ـ فى موضع الجدل والنقد ، وان المعلومات التي سجلت حتى الأن، هي اقرب الى الترجيح منها الى اليقين، ما لم تؤسس مثل تلك الدراسات على اسس علمية رصينة(٣) ·

ويعتقد بعض الباحثين والدارسين ان خير وسيلة يمكن بها دراسة اللهجات العربية القديمة ، هى الاعتماد على الاسس التالية :

اولا : دراسة اللهجات العربية الحديثة (المحلية) فى اقطار الوطن العربي كافة ·

ثانيا : دراسة القراءات القرآنية دراسة واسعة معتمدين فى ذلك على النظريات الصوتية الحديثة ، والمقاييس والآلات التى تستخدم فى

---

(١) ينظر د· ابراهيم أنيس ـ المصدر السابق ، ص ١٠ ·
(٢) ينظر ـ المصدر نفسه ، (من مقدمة الطبعة الثالثة) ص ٣ ·
(٣) ينظر ـ المصدر نفسه (من مقدمة الطبعة الاولى) ص ١٠ ·

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معامل علم الاصوات ، دون ان نعتمد فقط على ما تقدمه لنا الكتب العربية القديمة من معلومات متناثرة فى هذا الشان ٠

ثالثا : جمع الروايات المتناثرة في بطون اللغة والنحو والادب والتاريخ التى لها علاقة باللهجات العربية القديمة ، ومحاولة تمحيص تلك الرويات وتقييمها على اسس علمية حديثة ، بالاضافة الى حاجتنا لدراسة تنقلات القبائل العربية قبل الاسلام وبعده دراسة تاريخية مستفيضة ، ومن ثم دراسة البيئات الاجتماعية وما خالطتها من امم وشعوب(١) ٠

وتذهب بعض الآراء الحديثة فى هذا المجال الى نفس هذا الاتجاه تقريبا « ولكي ندرس اللهجات العربية يجب اولا ان نبحث عن مصادرها ، ولاننا ندرس لهجات قديمة اندثرت او تطورت ـ ونحن لانملك تسجيلات صوتية تتكفل بأن تكون الدراسة اقرب الى الصحة فلا بد من البحث عن بقايا التآليف القديمة عن اللهجات ، ويتم ذلك بالبحث عن التآليف المختصة باللهجات اولا ، ثم بما ورد من اللهجات خلال التآليف اللغوية والادبية العامة »(٢) ٠

على اننا نجد باحثا آخر يؤكد ايضا من ان دراسة القراءات القرآنية المشهورة السبع او العشر ، او الشاذة ، تساعدنا في الكشف عن جوانب مهمة فى اللهجات العربية القديمة ، ويعتبرها مادة تاريخية مهمة ، الا انه لايعتقد بأن كل ما وصلنا من (تآليف قديمة) يمكن ان ينفع فى هذا

---

(١) ينظر ـ د٠ ابراهيم أنيس ، المصدر السابق ، ص ١٠ ، ١٤ ٠

(٢) د٠ هاشم الطعان ـ الادب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٨ م ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ ٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المجال ، وخاصة (الشعر الجاهلي) وحتى (الشعر الاسلامي) · ويعزى السبب فى ذلك ان الشعر الجاهلي والاسلامى قد صيغا بلغة واحدة هي اللغة العامة المشتركة ، بحيث يمكن للدارس الفاحص الخبير ان يتلمس غيبة لهجات القبائل العربية المختلفة ، أو قل : اللغات الخاصة بها · لهذا السبب فهو يستبعد الشعر الجاهلي والاسلامي من مثل هذه الدراسة (اللهجات العربية القديمة) ،ويعتقد ان الاعتماد على القراءات القرآنية المعروفة تنفع كثيرا فى هذا المجال ، بالاضافة ان تلك الشذرات التى يمكن ان نعثر عليها فى بطون الكتب والمجلدات وهى تتحدث او تشير الى بعض الظواهر او الخصائص (اللهجية) العربية القديمة(١) ·

ويتضح من كل ما تقدم ان مثل هذه الدراسة للهجات العربية القديمة تتطلب جهودا كبيرة من قبل علماء واختصاصيين فى اللغات ، لجمع المادة المطلوبة والكشف عن اسرارها ، ثم القيام بالمقارنات المطلوبة بين تلك اللهجات ، واستنباط القوانين الخاصة بها ، سواء ما يتعلق بعصور تلك اللهجات الاولى ، او استقراء قوانين تطورها فى العصور اللاحقة بعد الفتح الاسلامى(٢) · ومن يطلع على ما نشر فى هذا المجال فى السنين السابقة والاخيرة من كتب وابحاث ودراسات واطاريح جامعية تتعلق باللهجات العربية القديمة يستبشر خيرا(٣) ، رغم انها لاتفي بالحاجة العلمية المطلوبة ·

---

(١) ينظر د· ابراهيم السامرائي ـ العربية بين امسها وحاضرها ، بغداد، دار الحرية للطباعة ، وزارة الثقافة والفنون (الجمهورية العراقية) ١٩٧٨ م ، ص ٥٧ ، ٥٨ ·

(٢) ينظر د· ابراهيم انيس ـ المصدر السابق ، ص ١٤ ، ١٥ ·

(٣) يمكن للطالب الذى يريد الاطلاع على مصادر ومراجع مهمة جدا في هذا المجال ان يستفيد من اسماء الكتب والابحاث والفهارس =

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اما بالنسبة الى دراسة اللهجات العربية المحلية الحديثة ، فالامر يختلف ، اذ اننا يمكننا بواسطة الاجهزة الصوتية الالكترونية الحديثة ، والمقاييس العلمية ، ومعامل الصوت وتقدم العلم والتكنولوجيا ان نسرر عينات او نماذج من اللهجات العربية المحلية الحديثة لدراسة اصواتها وكلماتها ، وخصائصها ومميزاتها وطبيعتها ، بعد ان تمر تلك العينات او النماذج فى مختبرات علمية لدراستها من النواحي التشريحية ، والفيزيائية ، والاجتماعية واللغوية ، والتاريخية والسياسية ... كل هذه الامور تساعد العالم والباحث والدارس ان يصل الى نتائج جيدة هى اقرب الى البحث العلمي ، ولم لا طالما ان اللهجات العربية المحلية الحديثة مازالت موجودة فى اقطار الوطن العربى المختلفة ، بالاضافة الى توفر وسائل العلم والتكنولوجيا لتسهيل مهمة الباحث(١) . وعندما يتحقق هذا الهدف العلمي ـ وهو واقع فعلا ـ فأننا سنحصل على فوائد عديدة لايمكن تجاهلها « منها تسجيل لهجاتنا التى تكون مرحلة تاريخية من حياتنا الاجتماعية ، ومنها اشباع رغبة العلماء في الدراسات الاكاديمية البحتة للهجات الحديثة ، ثم بعد هذا وفوق هذا تصبح تلك الدراسة نواة او مادة نستغلها فى دراسة اللهجات العربية القديمة »(٢) . لما أشرنا ذلك من قبل

= التى ذكرها د. هاشم الطعان فى كتابه (الادب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة) ص ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ (المؤلفان) .

(١) ينظر د. ابراهيم أنيس ـ المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٢) د. ابراهيم أنيس ـ المصدر السابق ، من (مقدمة الطبعة الاولى) ص ١٣ ، ١٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والآن ينبغي لنا ان نستذكر الحقائق التى مرت بنا فى هذه الصفحات ونفكر مليا فى الصلة والعلاقة بين اللهجات العربية القديمة والمحليـــة الحديثة بفن الالقاء ٠

وباعتقادنا انه اذا ما اردنا الاجابة بوضوح عن تلك الصـــــلة او العلاقة ، فأنه يتطلب منا ان نعرج قليلا على بعض الفقرات التى مرت بنا آنفا والتى لها علاقة بصميم موضوعنا (اللهجات العربية القديمة والحديثة وفن الالقاء) ٠ وبتعبير آخر كيف يمكن الربط بين دراسة اللهجاتالعربية القديمة والمحلية الحديثة بالاداء التمثيلي من حيث الصوت والالقاء ، وما هى نقاط الارتكاز التى يمكن الاعتماد عليها فى الربط وتطويع تلك المادة النظرية ــ وفى مجال الدراسة الاكاديمية فى قسم الفنون المسرحية ــ الى مؤشرات يستفيد منها الطالب فى مجال دراسته الفنية اولا ، ودراســـته الادبية واللغوية ثانيا ؟

اننا نعتقد انه يمكن الاجابة على مثل هـــذه التساؤلات بالنقاط التالية :

١ ــ ان من اهم اغراض علم اللغة هو « كشف القوانين التى تخضـــع لها فى جميع نواحيها والتى تسير عليها فى مختلف مظاهرهـــــا (القوانين التى تسير عليها فى تكونها ونشأتها وادائها لوظائفهـا وعلاقاتها المتبادلة وعلاقاتها بغيرهـــا وتطورها ٠٠٠ ومـا الـى ذلك) »(١) ٠ وبما ان اللهجات العربية القديمة والمحلية الحديثة ، نابعة من اللغة العربية الفصحى ، وليست دخيلة عليها ، فأن دراسة اللهجات العربية القديمة والحديثة تعني بالضرورة المحاولة الجادة فى ربط ظواهرها اللغوية ، بالظواهر اللغوية فى اللغة العربيـــة

---

(١) د٠ علي عبدالواحد وافي ــ علم اللغة ، ط٧ ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧٣ ، ص ١٦ ٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصحى ، ويكون ذلك عن طريق كشف القوانين التى تعمل عملها فى اللغة العربية الفصحى ، والتى لانجد سببا من ان اللهجات العربية (القديمة) و (الحديثة) لاتخضع لها ٠

مثل هذه الدراسة تحقق لناهدفين:

الاول : الحصول على دراسة (علمية) اكاديمية « ويطلق العلم اصطلاحا على كل بحث موضوعه دراسة طائفة معينة من الظواهر لبيان حقيقتها وعناصرها ونشأتها وتطورها ووظائفها والعلاقات التى تربطها بعضها ببعض والتى تربطها بغيرها وكشف القوانين الخاضعة لها فى مختلف نواحيها »(١) ٠

الثاني : الحصول على دراسة (فنية) « ويطلق الفن اصطلاحا على على كل بحث موضوعه بيان الوسائل التى ينبغى الالتجاء اليها للوصول الى طائفة معينة من الغايات العلمية »(٢) ٠

ويمكن من خلال تحقيق الهدفين اعلاه ان نحصل على مرتكزات علمية ، وتسهيلات تنموية لغوية من ناحية اخرى ، بحيث انه يمكننا ان ننتفع منهما كثيرا فى مجالات الفكر والاجتماع والسياسة واللغة والادب والفن ٠ ان « تعريف الناشئة بأصوات لغتهم سبيل من سبل المحافظة على اللغة القومية ، وطريق من طرق التقريب بين اللهجات والعمل على تذويب الفوارق بينها ، وهذا مسلك تنهجه الامم الواعية التى تسعى الى تقوية وحدتها فكريا وسياسيا واجتماعيا»(٣) ٠ واحدى الوسائل الكفيلة لتحقيق مثل هذا الهدف ـ كما نعتقد ـ هو اخضاع اللهجات العربية القديمة منها والحديثة للقوانين الاساسية

---

(١) د٠ علي عبدالواحد وافي ـ المصدر السابق ، ص ٢٤ ٠
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤ ٠
(٣) د٠ كمال محمد بشر ـ دراسات في علم اللغة ، القسم الاول، القاهرة ، مطابع دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ ، ص ٢١ ٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بروح علمية ايضا بما يكفل منفعتنا فى تحقيق الغايات العلميـــة والتنموية فى الميادين والمجالات كافة ٠

مثل هذا الجهد الشامل الواسع يتمثل فى نشـاط وســعي الاكاديميات المختصة والمجامع اللغوية ، وجهود الدارسين والباحثين الاكاديميين والمخضرمين الذين يهتمون بعلوم اللغة والادب والفن ٠ اما فى مجال الدراسة الاكاديمية (الفنية) فى قسم الفنون المسرحية، فانه يتطلب منا ان نرسم خطوط العلاقة بين اللهجات العربية القديمة والحديثة وفن الالقاء ، وخاصة الحديثة منها على ضوء قوانين علم اللغة ، وضوابط أخرى مركزية ، لكي نتمكن من معالجـــة تلك اللهجات ، وتصفيتها من الشوائب الاقليمية والمتطفلة ، وصولا الى تقريب تلك اللهجات العربية المحلية المتعددة الى لغة عربية سليمـة معاصرة يهدف لها الجميع من ابناء هذه الامة العربية المجيدة ٠

٢ ـ ان التعرف العلمي على الاختلاف بين لهجات القبائل العربية القديمة ، وكيف تشعبت من اللغـــة العربية الفصحى مثل هـــذه المعرفة ، تكمن فيها الفائدة العلمية والاكاديمية من ناحية ، وتوصلنـــا الى حقائق يمكن الاستفادة منها فى مجال تضييق شقة الخلاف بين اللهجات العربية الحديثة ، على اعتبار ان اللهجات العربية المحلية الحديثة ، هى الاخرى نابعة من رحم اللهجات العربية القديمة ، فهناك نســب وقرابة وترابط عضوى بينهما ٠

٣ ـ ان معرفة اللهجات العربية المحلية الحديثة ، ومعرفة اصولها وأسسها، واسباب الاختلاف فيما بينها ، ترسم لنا الدرب العلمي ، للتخلص من فجوة الاختلافات فى اللهجات وصولا الى هدف كبير منشود ، وهـــو التمسك بلغة عربية موحدة سليمة معاصرة تساعدنا فى الحـــديث والتخاطب والكتابة والاداء الدرامي ٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤ ـ ان معرفة اسرار اللهجات المحلية العربية الحديثة من خصائصها الصوتيه واللغوية ودلالة الألفاظ ، يساعدنا ايضا على دراسة الظروف الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسية والنفسية للاقطار العربية المتعددة ، ومثل هذه الدراسة المتشابكة تنفع الفنان فى عمله ، كما تنفع علماء الاجتماع والادب والاقتصاد والسياسة والاعلام ، لانه ـ كما هو معروف ـ ان الظاهرة اللغوية والصوتية لمجتمع ما فى مرحلة تاريخية محددة ، انعكاس لبعض الظواهر الاجتماعيه والاقتصادية والسياسية والنفسية .

٥ ـ ان التمكن من اسرار اللهجات المحلية فى العراق وخصائصها ـ وهـــذا ينطبق على بقية اللهجات المحلية فى الاقطار العربية كافة ـ يساعدنا الان على الابتعاد شيئا فشيئا عن ثقل اللهجات المحلية العربية فى العراق وحجمها ، والاقتراب بخطوات سديدة من لغة عربية فصيحة موحدة سليمة معاصـــرة ، يمكن للملقي أن ينقل ما يريد توصيله الى المتلقين بشكل جميل وسليم ومعبر ومؤثر ، لافى نطاق القطر فحسب ، بل فى ارجاء الوطن العربى كافة .
لانه كما هـــو واضـــح : ان فن الالقاء يعتمد فى الاساس على المـــادة اللغوية ، وكلما كانت المادة اللغوية عربية سليمة فصيحة بليغة معبرة ، كلما تمكن الملقي من ان يمارس فنه وامكاناته فى مجالات فنية او ادبيـــة او اعلامية . واذا كان ، بعض الممثلين والشعراء اليوم يتكلمون اللهجة المحلية العامية فى العراق ، فى مجمل نشاطاتهم الدرامية والادبية ، فان شـــوط اللهجة العامية قصير جدا ، والمستقبل هو للغة العربية العظيمة ، السليمة الجميلة . ولكننا يمكن ان نستفيد مرحليا من دراســة اللهجات المحـلية العراقية من الناحية الدرامية ، عندما يطلب منا القاء تلك اللهجات بشكل ملائم ولكن دون اغراق فيها .

ويجدر بنا أن نذكر بأيجاز ، بأننا نشعر بالتفاؤل الكبير ، فى ان اللهجات العربية المحلية فى العراق ، ستأخذ بالانحسار والزوال ، باسرع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما يتصوره البعض ، لان انتشار اجهزة الاعلام المرئية والسمعية بهذه السهولة والسيولة ، تساعد الاجيال الجديدة على التقاط المفردات والتراكيب العربية المفيدة والسليمة ، وخلق لغة أدبية عامة ميسورة للجميع • وبالاضافة الى انتشار أجهزة الاعلام ، فان هناك انتشارا كبيرا للصحافة والمجلات والكتب والدوريات عندنا ، وهذا من دون شك له مردوده الايجابى فى نفوس الناس من حيث الاقتراب الى اللغة العربية الفصحى •

هذا وان وجود الكليات والجامعات والمعاهد بهذا الحجم الكبير والمتطور ، والمنتشر فى انحاء القطر يساعد على خلق جيل مثقف وواع • وهناك ارتباط حقيقي بين الثقافة واللغة •

ولا بد ان نذكر ايضا ان قانون محو الامية والتعليم الالزامي سيساعد كثيرا على خلق جيل جديد من الناس يتذوقون الكلمة العربية الحلوة الذكية والمعبرة ، بدلا من عنجهية اللغة المحلية العامية •

وهنا ينبغي ان نشير أيضا الى قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية الذى سرى مفعوله منذ زمن غير قصير فى قطرنا[1][2] ، والذى يوجب الاساتذة والمعلمين والمثقفين والمدرسين والطلبة والاعلاميين كافة من ان يلتزموا بنصوص هذا القانون ، وتطبيقه روحا وشكلا وهدفا فى المدارس

---

(١) اصدر مجلس قيادة الثورة في العراق ، قانون (الحفاظ على سلامة اللغة العربية) المرقم ٦٤ لسنة ١٩٧٧ ، بقرار رقمه ٥٣١ وبتاريخ ٢٨ـ٤ـ١٩٧٧ .

(المؤلفان)

(٢) ولقد صدرت ابحاث ودراسات اكاديمية وغير اكاديمية فى مجال هذا القانون ، ونذكر على سبيل المثال كتاب : (نحو لغة عربية سليمة) الذى اشترك فى تحريره نخبة من اساتذة جامعة بغداد وبعض الادباء ، وهو من منشورات وزارة الثقافة والفنون (العراقية) ومن سلسلة الدراسات برقم (١٤٠) لسنة ١٩٧٨ .

(المؤلفان)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الابتدائية ، والمتوسطات والثانويات واروقة الجامعة ، ومن اجهزة الاعلام المرئية والسمعية ، والمنتديات الادبية ، وفى مجمل النشاطات السياسية والاجتماعية • ومثل هذا الهدف الكبير هو تحقيق لحقنا القومي في لغتنا العربية الجميلة ، بالاضافة الى مردوداته الايجابية العديدة فى مجالات الحياة كافة •

٦ – وفى الاخير لابد من الاشارة ، بان فن الالقاء ، يستطيع ان يساهم مع وسائل ثقافية واعلامية اخرى فى تخليص اللهجات العربية المحلية من الشوائب الدخيلة التى علقت بها ، وتقريبها بعضها من بعض ، وصلا الى تحقيق لغة عربية سليمة معاصرة نتعامل معها فى الكتابة والتخاطب ، وفى المجالات الادبية والدرامية كافة •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول

نشـــــوء اللهجات

باديء ذي بدء .. لابـــد ان نستعـــرض اهـــم ما كتبـــه الدارســـون والباحثون من تعاريف عن اللهجة لكي نكون فكرة عامة عنها كتمهيد اولي فى دراستنا هذه .

يتعرض الاستاذ مايبه الى اللهجة بقوله : « فاللغة بهذا المعنى الواسع تضم وحدات لها خصائص يميزها من يتكلمونها وهذه الوحدات هـــي ما يسمى باللهجات »(١) .

ويقـــول الاساذ مايبه عن اللهجـــة ايضا : « تعرض للغـــة نفسهـــا تقسيمات فرعية تبعا لتقسيم المتكلمين بها الى جماعات صغيرة مع دخول الزمن عاملا اساسيا فى هذا التطور ، ويعرف كل قسم فرعي فى داخـل اللغة الواحدة باسم اللهجة »(٢) .

ويضيف الاستاذ مايبه فى هذا الخصوص بما ينفعنا فى مجـــال دراستنا هذه . « أن اية لغة نعرفها الان قد بدأت حياتها كلهجة من لغة اخرى أقدم منها . وهكذا يصعب على علم اللغة ان يصنع حـــــدودا مضبوطة تمام الضبط لامتداد مدلول كلمة لهجة : واقرب الحدود منا هو ان يقال انه اذا كانت مجموعة من اللهجات تنتمي الى لغة أم وكانت هذه اللغة الام نفسها ماتزال على قيد الحياة ، شائعة الاستعمال ، فأن ايـــة وحدة من فروعها بأن تســـمى لغة الى ان تموت اللغة الام نفسها»(٣) .

---

(١) لانسون ومايبه ـ منهج البحث في الادب واللغـــة ، ترجمـــة د٠ محمد مندور ، القاهرة ، مطبعة نهضة مصر ، دار نهضة مصر للطبـــع والنشر ، ١٩٧٢ ، ص ٤٤٥ .

(٢) د٠ هاشم الطعان ـ المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد عرف عبدالوهاب حمودة اللغة بانها : « « يراد بهـــا الالفاظ التى تدل على المعاني ، من اسماء وافعال وحروف ، ويراد بها النحـــو ، وهو طريق تاليف الكلمات واعرابها للدلالة على المقصود ، وكذلك يـــراد بها كل ما يتعلق بأشتقاق الكلمات وتوليدهـــا ، وبنية الكلمـــــات ونسجها » (١) ٠

أما عن اللهجة فانه يعرفها لنا بما يلي : « أسلوب أداء الكلمة الى السامع من مثل امالة الفتحة والالف او تفخيمها ، ومثل تسهيل الهمـــز او تحقيقها فهي محصورة فى جرس الالفاظ وصوت الكلمات وكل مايتعلـ بالاصوات وطبيعتها ، وكيفية أدائها » (٢) ٠

ويتقدم باحث آخر بتعريف عن اللهجة فيقول : « اللهجـــة في الاصطلا العلمي الحديث ، هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي الى بيئة خاصـــة ويشترك في هذه الصفات ، جميع افراد هذه البيئة »(٣) ٠

على ان البيئة التى تخلق او تنبت لهجة معينة ، هى ليست مقطوع عن بيئات اخرى ، والتى قد تضم عدة لهجات ، تجمعها ظواهر لغويـــة تيسر للمتكلمين بها الاتصال والفهم المتبادل ٠ « وبيئة اللهجة هي جزء م بيئة أوسع وأشمل ، تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ، ولكنهـــ تشترك جميعا فى مجموعة من الظواهر اللغوية التى تيسر اتصال افر هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوق على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات »(٤) ٠

---

(١) المصدر السابق ــ ص ١٤٣ ٠

(٢) المصدر نفسه . ص ١٤٤ ٠

(٣) د٠ ابراهيم انيس ــ المصدر السابق ، ص ١٦ ٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦ ٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن خلال توفر عدة لهجات ، يتم فيها الاتصال والفهم المتبادل للمتكلمين بها فى بيئة معينة تتحدد معالم لغة معينة ، ومن هنا نجد مدى العلاقة والارتباط العضوي والنفسي والفكري والاجتماعي بين اللهجة او اللهجات ، واللغة نفسها · « وتلك البيئة الشاملة التى تتألف من عدة لهجات ، هى التى التى اصطلح على تسميتها باللغة ، فالعلاقة بين اللغة واللهجة ، هى العلاقة بين العام والخاص · فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات لكل منها ما يميزها ، وجميع هذه اللهجات تشترك فى مجموعة من الصفات اللغوية ، والعادات الكلامية التى تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات »[١] ·

على اننا لو رجعنا الى الماضي وتوغلنا فى القدم ، لوجدنا ان علماء العربية كانوا يعبرون عن « اللهجة » التى نعرفها اليوم ، فى العصر الحديث « اللغة » او بـ « اللحن » فى مجالات أخرى ··· كأن يقول الاعرابي في قديم الزمان وهو يتعرض لمسألة نحوية ، فيقول (**ليس هذا** لحني ولا لحن قومي) ، ويعنى بذلك ليست هذه لهجتي او لهجة قومي ، او ليست هذه لغتي ، او لغة قومي[٢] ·

ومهما يكن من أمر ··· فأن هناك من دون شك أسبابا عديدة لظهور اللهجات فى جميع اللغات ، ونحن اذ نتعرض لها بشكل جامع شامل ، فأننا سنتعرف الاسباب الحقيقية التى ادت الى ظهور اللهجات فى اللغات الانسانية المختلفة كافة ، منذ قديم الزمان حتى وقتنا الحاضر ·

ولكننا نجد انفسنا مضطرين الان ، قبل أن نبدأ بتبيان اسباب ظهور اللهجات فى لغة او لغات مختلفة ، ان نعمل على القاء بعض الضوء على امور معينة تتعلق باللغة اساسا من حيث خصائصها الاولية ، لكي تكون

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٦ ·
(٢) ينظر المصدر نفسه ، ص ١٦ ، ١٧ ·

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة تمهيدية ميسرة ، للوصول الى اسباب ظهور اللهجات بشكل علم مدروس ٠

فما اللغة اولا التي تجمع في طياتها لهجات مختلفة ؟

اللغة نظام من الرموز الصوتية ، وقد عرفها اللغوي العربي ابن جني ت ٣٩٢ هـ بقوله: حد اللغة اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم ٠ وهذا التعريف دقيق ويتفق فى جوهره مع عناصر تعريف اللغة عند الباحثين المعاصرين ، فهو يؤكد ـ من جانب ـ الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية ، ويبين أيضا ان وظيفتها الاجتماعية هى التعبير ونقل الفكر في اطار البيئة اللغوية ويذكر كذلك انها تؤدي وظيفتها فى مجتمع بعينه ، فلكل قوم لغتهم٠

هذا وقد عرف البحث اللغوي الحديث فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين تعريفات مختلفة للغة تناولتها من وجهات نظر عديدة ، ولكنها تتفق في ابراز الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية وفى ايضاح الوظيفة الاجتماعية للغة ، ومن هنا تنجم الاسس المنهجية للبحث اللغوي بمناهجه المختلفة ، فالدراسة اللغوية تعرف قطاعين متكاملين : الاول دراسة البنية اللغوية فى جوانبها الصوتية والتركيبية والمعجمية ، والثانى بحث ارتباط هذه البنية بوظيفتها الحيوية فى المجتمع ، ويدخل فى دراسة وظيفة اللغة ايضاح أثر الجوانب الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية على الحياة اللغوية وتطورها ، فدراسة الفكر فى اطار البيئة اللغوية ، ويذكر كذلك انها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بنية اللغة ووظيفتها فى المجتمع دراسة نابعـــة من طبيعة اللغة وحياتها(١) ٠

اذن ، فأننا عند دراستنا للغة بشكل عام ، سنتصدى اولا الى بنيتها من حيث الجوانب الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية ٠٠٠ وهـذا يعني ان نتلمس اسرار اللغة من حيث كونها نظاما من الرموز قد اتفق عليه بين الملقي والملتقي ٠٠٠ اى بين المتكلم والسامع فى بيئة معينة ، من اجل تأدية وظائف حيوية مطلوبة ٠

فاللغة اولا وقبل كل شيء ـ نظام من الرموز ، ومعنى هذا انها تتكون من عدد كبير من الجزيئات التي تنتظم بعلاقات محددة فى سياق او نظام محدد ،

وأقل هذه الرموز ، الوحدة الصوتية ، تليها الكلمة، ثم تتكون الجملة بالتالي من الكلمات ، وقد رتبت في سياق متعارف عليه فى البيئة اللغوية، وقيمة الرموز ليست قيمة ذاتية طبيعية بل هى مستمدة من الاتفاق العرفي عليه ، فالرمز اللغوي يستمد قيمته مـــن الاتفاق عليه بين الاطراف التى تستخدمه فيتعاملها٠

فهو يمثل اداة الاتصال بين المتحدث او الكاتب من جانب وبين المستمع او القارىء من جانب آخـر ٠

واللغة هنا هي هذه الرموز التى تنقل التأثير مـــن المؤثر الى المتلقي ، وهذا معناه وجود اتفـاق بين المؤثر والمتلقي على اســتخدام هـــذه الرموز اللغويـة

---

(١) د٠ محمود فهمي حجازي ـ اللغة العربية عبر القرون ، القاهرة ، مطابع دار الكاتب العربي ، وزراة الثقافة ، دار الكاتب العـــربي للطباعة والنشر ١٩٦٨ ، ص ٤ ٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بقيمها العرفية او بعبارة اخرى وجود اتفاق بينها على ترجمة هذه الرموز الصوتية الى اشياء يدركها الجهاز العصبي(١) ٠

ولتوضيح عمل الجهاز العصبي فى هذه العملية المعقدة المتشابكة فى نقل الرموز الصوتية الى معنى وادراك ، فلابد ان نعطي فكرة واضحة عنها استكمالا لدراستنا التمهيدية هذه ٠

فالجهاز العصبي للمتكلم يستجيب لمؤثرات مختلفة خارجية كانت أم داخلية ، فيصدر أوامره الى الجهاز النطقي ، وهذا يرسل بدوره هذا الأمر فى صورة موجات صوتية ذات خصائص ونسق محدد ، فيتلقاها الجهاز السمعي للمتلقي ناقلا اياها الى الجهاز العصبي له ٠ وعلم اللغة ينظر الى هذه العملية باحثا طبيعة هذه الرموز الصوتية التى نقلت الفكرة او الانفعال من المتحدث الى المتلقي ، رابطا هذا بالمعنى الذى تحمله هذه الرموز ٠ فالدراسة الفيزيائية لخصائص هذه الرموز الصوتية لابد وان ترتبط بالمعنى وبكل ما يتعلق به كي تصبح هذه الدراسة من علم اللغة(٢) ٠

ومثل هذه العملية الخطيرة والحيوية معا ، التى تتم فى كل لحظة حياتنا ، عندما يتكلم انسان ما ، ويستمع اليه انسان آخر ، ضمن عملية مشتركة ، يتصدى لها علمان متقاربان ، الا وهما : علم الاصوات

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥ ٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥ ٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعلم الفونولوجي • اللـذان لهما كل العلاقة باللغـــة بشكل عام ••• وبتعدد للهجات •

يفرق الباحثون اليوم بين علمين اثنين ، أو قل : بين فرعين اثنين للدراسة الصوتية للغة ، فهـم يتحدثون عن علم الاصوات وعلم الفونولوجي • كلاهما يدرس اللغة من جانبها الصوتى ، وبينهما تكامل وجوانب اختلاف ، يهتم علم الاصوات بدراسة اللغة كظاهرة تشريحية فيزيائية ، ولكي نقرب هذا نلقي نظرة الى طبيعة اللغة ، فاللغة تفترض وجود متحدث ومتلق، وبينهما اداة نقل واعلام هي اللغة ، والاصـوات تتكون عند المتحدث فى منطقة بعينها هى الجهاز الصـوتي وما يرتبط به من عمليات فسيولوجية ، تعمل على خروج الزفير واهتزاز او عدم اهتزاز فى الوترين الصوتيين ووضع اللسان فى الفم على نحو بعينه ، وتشكيل التقاء الشفتين التقاء وانفتاحا، وغير ذلك وكـل هذا يختلـف من صـوت الى صوت آخر وهو ما يجعلنا نميز بين الصوت والاخر ، فلكل صـوت خصائصه النطقية التى تفهم بدراسة الجهاز الصوتي وفسيولوجية الكلام ويخرج الصوت بعد ذلك منتقلا الى المتلقي في الهـواء ، وهنا نستطيـع دراسـة الخصائص الصوتية للصوت ، كما يفعـل الباحثون في الفيزياء فى دراستهـم لاى صوت ، سـواء أكان لغويا ، أم غير لغوي ، فعلم الاصوات يهتـم اذن بدراسة اللغة كظاهرة تشريحية فيزيائية ، ومعنـى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا انه يدرس النطق والجرس ، وتعتمد دراسة النطق على المعرفة بالجهاز الصوتي للانسان ، وتقوم على تحديد الاوضاع المختلفة لاجزاء الجهاز الصوتي عند النطق بأى صوت من الاصوات اللغوية • ويدخل فى دراسة الجرس تحديد الذبذبات الصوتية التى تنتج عن نطق الصوت ، وغير ذلك من الدراسات التي تعتمد على اجهزة القياس الصوتي التي طورها المتخصصون فى الدراسة الفيزيائية ، فعلم الاصوات يدرس اذن اصوات اللغة فى الجانبين التشريحي والفيزيائي ويتوسل لهذا بما توصلت اليه علوم التشريح ووظائف الاعضاء للصوت(١) •

أما ما يخص علم الفونولوجي ، فأن له وظيفة اخرى ، او عما آخر ، له علاقة ماسة بصميم اللغة من حيث الرموز الصوتية ، التي ستدخل طواعية فى موضوع دراستنا ، نشوء اللهجات •

أما علم الفونولوجي ، او التحليل الفونولوجي ، فيدرس اصوات اللغة باعتبارها ، رموزا صوتية ، فلا يهتم بالخصائص النطقية والفيزيائية للصوت باعتبارها هدفا فى ذاته كما يفعل علم الاصوات ، بل ينظر علم الفونولوجي الى الخصائص النطقية والفيزيائية للصوت كوسيلة من الوسائل لتحديد طبيعة الصوت • والفرق بين البحث الصوتي والبحث

---

(١) د• محمود فهمي حجازي ـ علم اللغة ، بين التراث والمناهج الحديثة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ ، ص ٢٨ ، ٢٩ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفونولوجي يتضح ، اذا أدخلنا المعنى فى الاعتبار فاذا قارنا مثلا كلمة سائـر بكلمـة صائـد في العربيـة ، لاحظنا ان اهم فرق نطقى اساسى بينهما هو وجود السين فى الاولى والصاد فى الثانية ، فالكلمتـان تشتركان فى باقي المكونات ، والفرق بين السـين والصاد فرق بين رمزين مختلفين فـى العربيـة ، ومعنى هذا ان احلال احدهما محل الاخـر ، يعني تغير المعنى • ومن ثم نقول : ان السين ، وحـدة صوتية ، والصاد ، وحدة صوتية اخـرى ، وقـد استخدمنا هنا مصالح « الوحـدة الصوتية »••••

وهكذا حددنا عن طريق التضاد والتقابل وجـود السين كوحدة صوتية متميزة ، ووجود الصاد كوحدة صوتية متميزة في العربية ، وبعد هذا ننظر فيالفرق الصوتي بين السين والصاد ، وهـو ما جعـل السـين في العربية ، وحدة صوتية مغايرة للصاد ، وهـذا الفرق هو ان السين غير مطبقة والصاد مطبقـة ، والاطباق أمر خاص بالنطق وهو انطباق بين اللسان والحنك الاعلى ، ولو قارنا بين كلمتين « تين » و « طين » للاحظنا اتفاقهما الصوتى ، عدا الصـوت الاول ، فهو التاء مرة والطاء مرة اخرى ، وابدال احدهما محل الاخر معناه تكوين كلمة مغايرة بمعنى مخالف ، ولو قال احد من الناس « تين » وهو يريد « الطين » او العكس ، حدث لبس فى الفهـم[1] •

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٩ ، ٣٠ •

وبعد هذا الاستعراض القصير ـ الذى كان لابد منه ـ لمعرفة عل
الاصوات وعلم الفونولوجى ، ومدى تداخلهما فى اللغة التى نحـــ
بصددها الآن ، والتى تعد بمثابة الام بالنسبة الى اللهجات التى تتفر
منها ، ينبغي ان ننظر الى جانب حيوي آخر من اللغة نفسها ، الا وهـ
ارتباط اللغة بوظيفتها الحيوية فى المجتمع ، والتى تتأثر اللغة بالضرور
بتلك الوظائف الحيوية الاجتماعية وتنعكس ايضا على اللهجات التـــ
تخرج من رحمها ·

والنظام اللغوي لايمكن ان يكون معلقا فى الهواء ، او هدفا فى ذاته ، ولا بد ان يستخدم بطريقـــة او بأخرى فى مجتمع بعينه ، كي يـكون لغـــة ، ومن الحقائق المعروفة انه لايوجد انسان يستخـــدم كل المعجم الذى تعرفه لغته ، وقصارى اكثر الناس معرفة باللغة ان يستخدم قطاعا منها فى حديثه وتأليفه ، وهو فى ذلك مرتبط بعلاقاته الاجتماعية ومستواه الثقافي وضرورات عمله ، ومن هنا يجب فى دراسة اللغة ان تحدد المستوى الذى يستخدم فيه النظـــام اللغوي الذى ندرسه ، ففي بعض المجتمعات تستخدم لغة التعامل اليـومي ، واخـرى للتعليم والثقافة ، وفـي مجتمعات اخرى يستخدم قطاع من اللغة لامور الحياة اليومية ويعرف التعبير الادبي قطاعا آخر ، فهذان مستويان من مســـتويات استخـــدام اللغة ، وفى المجتمعات الاوربية المثقفة يدور حديث المثقفين بلغة هى الفصحى وفى اصواتها وصرفها ومعجمهـا وان كانت أبسط منها فى نحوها ، ويحـــاول كل مثقف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الارتفاع عن اللون المحلي فى لهجته ليتوسل فـــى حديثه باللغة الفصحى ، هذه التى يعرفها حـــديث المثقفين فى كتاباتهم ، وتستخدمها الادارة واجهزة الاعلام ، والطبقات المترفة · هذا وقد حاول عدد من اللغويين تحديد مستويات الاستخدام اللغـوي في المجتمع الانسانى وباءت محاولتم بعدم الدقة ، فكل مجتمع يعرف علاقاته ومستوياته اللغوية ، ولا يجوز أن نفرض تقسيما مسبقا على مجتمع ما ، وقصارى عمل اللغوي ان يشحذ ذهنه بدراسة مجتمعات لغوية كثيرة فى ملاحظة اللغة التى يدرسها وان يحدد على نحو موضوعي معالم اللغة كنظام من الرموز الصوتية، مع ربط هذا النظام بالمستوى الاجتمـاعي والثقافي الذى يستخدم فيه(١) ·

ومن دون شك فان هناك علاقة بين العوامل الاجتماعية ، والظواهر اللغوية ··· ولقد عالج علماء الاجتماع تقصير القدامى من علماء اللغة الذين لم يفسروا تلك الظواهر اللغوية تفسيرا اجتماعيا ، ولم يحاولوا ربط الظاهرة اللغوية بالظاهرة الاجتماعية ، على حين ان علماء الاجتماع الحاليين قد تحمسوا لمثل هذه المسألة ، فقد انشئوا فرعا جديدا فى العلوم الاجتماعية ، وقد أطلقوا عليه اسم (علم الاجتماع اللغوي) · وقد كتبت بحوث عديدة حول علاقة اللغة بالحياة الاجتماعية ، وكيف ان المجتمـــع بطبقاته وتركيباته الاجتماعية ونظامه والبيئة الجغرافية ، تعمل عملهـا فى الظاهرة اللغوية ·

وباعتقادنا ان لمثل هذا الاتجاه فى التقييمات العلمية نصيبها الكبير

---

(١) د· محمود فهمي حجازي ـ اللغة العربية عبر القرون ، ص ٥ ، ٦·

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فى تبيان أثر المجتمع فى الظاهرة اللغوية ، وهذا ماذهب اليه الكثيرون من علماء الاجتماع واللغة ايضا(١) ٠

ويذهب البعض فى مثل هذا النحو العلمي ويعلن انه يمكن ان نتلمس تاريخ شعب او امة من خلال لغتها التى تكون بمثابة المرآة الصادقة التى تعكس كل مادار ويدور فى ذلك الشعب او تلك الامة من ارهـــاطات اجتماعية وتحـــولات « تتأثر اللغة ايما تأثر بحضارة الامة ونظمها وتقاليدهـــا وعقائدها واتجاهاتها ودرجة ثقافتهـا ، ونظرتها الى الحياة ، واحوال بيئتهـــا الجغرافية وشؤونها الاجتماعية العامة ٠٠٠٠ وما الى ذلك ٠ فكل تطور يحدث فى ناحية من هذه النواحي يتردد صداه فى اداة التعبير ، ولذلك تعد اللغات اصدق سجل لتاريخ الشعوب ٠ فبالوقوف على المراحل التى اجتازتها ، وفي ضوء خصائصها في كل مرحلة منها ، يمكن استخلاص الادوار التي مر بها اهلها في مختلف مظاهر حياتهم »(٢) ٠

ويدلي باحث آخر رأيه فى نفس الموضوع ، ويعزز قيمة اللغـــة كظاهرة اجتماعية ، ولكنه يصفها بانها ظاهرة غير مادية ٠ هذه الظاهرة غير المادية توجب على الباحث ـ ان يستعين بالصبر والعمل المتواصل ، مع نفسه او مع الآخرين لكي يتحقق المنهج العلمي فى ربط اللغة بالاطار الاجتماعي ٠

واللغة ـ كما نقول كثيرا ـ ظاهرة اجتماعية يدرجها الباحثون بين الظواهر الاجتماعية غير المادية، فاللغة والدين والعادات كلها فى هذا القسم من الظواهر٠

---

(١) د٠ علي عبدالواحد وافي ـ المصدر الســابق ، ص ١٢ ، ١٣ ٠ وينظر كذلك د٠ محمود فهمي حجازي ـ علم اللغة بـــين التراث والمناهج الحديثة ، ص ١١٤ ٠

(٢) د٠ علي عبدالواحد وافي ـ المصدر نفسه ، ص ٢٥٧ ٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهناك فرق بين بحث الظواهر المادية وبحث غير المادية ، فاذا اتجه باحث اليوم الى الهند لدراسة مجتمع من مجتمعاته الصغيرة فهو مطالب فى دراسة الظواهر المادية بوصفها ، وهو قادر على ذلك بمجرد التعرف عليها والتدقيق فى معالمها ، ويدخل فى هذه الظواهر المادية : اشكال المساكن والازياء وادوات العمل وما شاكل هذا وذاك ، ولكن دارس الظواهر غير المادية يواجه مجموع ظواهر بحثه كنظام متكامل يؤدى وظيفته ، فعليه ان يلوذ بالصبر ويستعين بالجلد وهو يلاحظ آلاف الجزئيات المكونة للنظام اللغوي او العقيدي او الاخلاقي • وعلى الباحث تعد تسجيل هذه العناصر المكونة ان يصنفها تصنيفا علميا ويبلورها فى شكل نظام متكامل يربط كل هذه الجزيئات ، وهذا منهج الباحث اللغوي ، فهو يلاحظ ثم يسجل ثم يصنف ثم يبلور محاولا بكل هذا اكتشاف بنية اللغة التى يدرسها فى اطارها الاجتماعي[1] •

وهناك رأي قيم لباحث آخر ، يعزز فيه علاقة اللغة بالنشاط الاجتماعي ويؤكد دور العمل وانواعه ونشاطاته فى خلق اللغة جرسا وموسيقى ومفردات ، بحيث يمكن فرز لغة (لهجة) اهالي منطقة ما تبعا لنوعية الاعمال التى يقومون بها •

ولقد كان لمالينوفسكي العالم الانثروبولوجي فضل كبير في لفت الانظار الى مفهوم جديد في اللغة ، فقد

---

(١) د• محمود فهمي حجازي ـ اللغة العربية عبر القرون ، ص ٧ ، ٨•

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ادرك عندما كان يدرس بعض المجتمعات التى اصطلح عليها بالمجتمعات (البدائية) او (الفطرية) او (الوحشية) ، ان دراسته لن تصح دون معرفة الوظيفة التى تقدم بها اللغة فى المجتمع ، وقرر مالينوفسكي بعد قيامه بهذه الدراسات فى هذه المجتمعات ، ان اللغة لم تكن وسيلة فقط للتفاهم والاتصال ، فهى حلقة فى سلسلة النشاط الانساني المنتظم ، وانها جزء من السلوك الانساني ، وهي ضرب من العمل ، وليست اداة عاكسة للفكر • وهو يرى ان العمل الانسانى هو اصل مختلف الظواهر والنظم الاجتماعية ، وتبرز نظريته في الصلة بين العمل واللغة ، ويرى ان مواقف العمل هى التى تعمل فى تنويع اللغة ، وهو يسجل فى دراسته لمختلف قبائل استراليا وجزر الهند الغربية ان للصيادين لغة تختلف موسيقاها عن موسيقى لغة الزراعيين ، والالفاظ تدور فى سهولة وخفة مع العمل اليسير، وتتعقد بتعقد العمل(١) •

ثم يضيف الكاتب معلومات عن مجال استخدام ألفاظ اللغة ، في زمن او بيئة معينة ، بما لايتفق مع ذوق الناس وأدبهم ، ويمكن ان نتلمس هذه المسألة فى أدب الامة ، وخاصة فى الجانب الشعبي من ذلك الادب المتداول • ويذهب الى خلاصة مفادها ان ما يتعارف عليه الناس من أساليب الذوق فى لغتهم ولهجتهم فى زمن ما ، قد لايمكن ان يكون مقبولا

---

(١) د• ابراهيم السامرائي ـ فقه اللغة المقارن ، بيروت ، مطبعة دار العلم للملايين ، منشورات دار العلم للملايين ، ص ٢٣٠ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في زمن آخر او بيئة اخرى مختلفة : « ومعلوم ان لكل زمن او بيئة ذوقا خاصا في استعمال الفاظ اللغة ويبدو ذلك في أدب الامة ولاسيما في الجانب الشعبي منها ، ولا يمكن ان نطبق ما تواضع عليه الناس من اساليب الذوق في هذا الباب في زمن معين ، على لغة او لهجة في زمن آخر او بيئة اخرى »(١) .

ويقتنص الكاتب نفسه رأيا لابن خلدون يصب في الموضوع نفسه :

« ولابد ان نعرض لرأي آخر في تفسير موضوع اللغة ، واجتماعياتها فهذا ابن خلدون يعرض في مقدمته لموضوع العلوم اللسانية ، فيقول في نشأة لغة الامصار عن اللغة الاولى ، وهو على معرفة نفسية بأثر اختلاف البيئات على الظواهر الاجتماعية التي منها اللغة ، واليك قوله : ان كلا منهم متوصل بلغة الى تأدية مقصودة ، والابانة عما في نفسه، ، وهذا معنى اللسان واللغة ، وفقدان الاعراب ليس بضائر لهم »(٢) .

وعلى هذا الاساس ، كان للهجات كيان قائم محسوس منذ الزمن القديم حتى يومنا هذا على الرغم من تعلقها وارتباطها الوثيق باللغة (الام) :

> فاللهجات تدخل في مجال علم اللغة ، لا لجمالها او لقبحها ، بل انها شيء قائم وواقع محسوس . فالباحث في اللهجات القديمة او الحديثة لايفعل هذا بهدف الرفع من شأنها او القضاء على الفصحى ، فليس هذا مجاله وليست هذه طبيعة عمله . عالم اللغة يدرس اللهجات قديما وحديثا لانها ظواهر لغوية وجدت او لاتزال موجودة ، وهي في هذا يقرر واقع

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الظواهر الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية فيهـــــا ٠٠٠٠٠٠

ومن هنا فأن كل مستويات الاســـــتخدام اللغــوي تدخل فى دراسة اللغة ، ويبحث تاريخ اللغـــة كل مراحل اللغة منأقدم العصور الى الانوكل مستويات استخدامها من لهجات وفصحى ، وما بين هذه وتلك ، والهدف هنا هو التحليل العلمي ٠٠٠ وقصارى جهد اللغوي ان يبلور عناصر النظام اللغوي فى المراحل المتتابعة للمستويات المختلفة والمتداخلة(١) ٠

هذا وان تطور اللغة يمكن ان يرصد فى شقين اساسيين :

الاول : التطور الحاصل فى بنية اللغة وهو ما يسمى بالتطور الداخلي ٠

الثاني : التطور الحاصل فى مجال انتشار اللغة واستخداماتها وهو مـــا يسمى بالتطور الخارجي ٠

وهذان التطوران الحاصلان فى اللغة ، واللذان يفسر احدهماالاخر، نابعان ، من دون شك من الطبيعة الرمزية الصوتية للبنية اللغوية اولا ، ولوظيفتها الاجتماعية المترتبة عليها ثانيا ٠ ولا يمكن دراسة احد الشقين، دون الالمـــام بالشق الثاني المـــاما كافيا ، وان اى قصـــور في هذا يبعـــد الدارس عن الظاهرة اللغوية ونظامها وعن مجال مستوى استخدامها(٢) ٠

ويمكننا ان نقتبس مثلا تطبيقيا على ما ذكرناه قبل قليل ، فمـن المعلوم ان لهجة اهالي القاهرة اليوم ، قد حولت (القاف) الصحيحة الى (الهمزة) ، وهو فعل صادر عن قانون صوتي مطرد ٠ والقـــوانين الصوتية ــ كما هو معروف ــ ليست فيها استثناءات او شواذ ، غير اننا

---

(١) د٠ محمود فهمي حجازي ــ المصدر السابق ، ص ٨ ، ٩ ٠
(٢) ينظر ــ المصدر نفسه ، ص ٩ ، ١٠ ٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نجد مع ذلك ، فى لهجة اهالي القاهرة استثناءا معروفا فى نطق كلمتي (القرآن) و (القاهرة) ، فأهالي القاهرة ينطقون (القاف) فى هاتين الكلمتين بشكل سليم ، اى انهم ينطقون (القاف) الصحيحة دون تحويلها الى (الهمزة) كما يفعلون عادة مع غير هاتين الكلمتين • ويرجع الدارسون هذه الظاهرة الى تفسير واحد ، الا وهو فعل مستوى الاستخدام اللغوي ••• بمعنى ان المتحدث فى مدينة القاهرة قد اعتاد على نطق حرف (القاف) الصحيحة فى كلمتي (القرآن) و (القاهرة) وقد جاءت هذه العادة (المستخدمة) فى المساجد ، او من قراءة المتعلمين ، واستمرت هكذا فى مجرى الاستخدام اللغوى دون تحريف ، فى حين ان نفس المتحدث عندما يتكلم ، بلهجته الدارجة يحول دائما (القاف) الصحيحة الى (الهمزة) مع استثناء واحد نجده فى كلمتي (القرآن) و (القاهرة) كما اشرنا قبل قليل • وهناك امثلة اخرى عن مستوى الاستخدام اللغوي ببعض الكلمات

فقد حلت كلمة (مصر) فى اللهجة الدارجة لاهالى القاهرة محل كلمة (القاهرة) ، وكذلك حلت كلمة (المصحف) محل كلمة (القرآن)[1] • والامثلة كثيرة •

هذا وان الباحثين قد ادركوا ان بنية اللغة تتطور ـ وهذا شيء مؤكد ـ وقد كتشفوا أيضا بعض الخفايا التى تغيب عن بال كثير منا ، منها : أن الشخص اذا ا نطق مرتين كلمة واحدة او جملة واحدة ، فأنه لابد ان يكون هناك بعض لاختلاف فى نطق تلك الكلمة او الجملة الواحدة ، والسبب فى ذلك هو تأثر خصائص التشريحية او الفيزيائية لدى ذلك الشخص عندما حاول تكرار تلك كلمة او الجملة الواحدة • فكيف يكون الامر اذا نطق الشخص نفسه تلك جملة اكثر من مرة ؟ وكيف يكون الامر ايضا ، اذا نطق آخرون تلك الجملة

)ينظر المصدر السابق ، ص ١٠ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولعدة مرات ؟ ان مثل هذه الفروق البسيطة فى النطق ـ التى لايمكن ان يلاحظها الا الخبير الباحث ـ تشكل احيانا ، مع مرور الايام والسنين وتعاقب الاجيال انعطافات سهلة ، او عادة فى بنية كلمة ما ، فتغير جزءا منها ... اى ان تتحول بعض حروفها بعد أن تطرأ عليها تغييرات معينة لاسباب عديدة[1] .

ولكن ... وليس هذا عجبا ، فقد نجد فردا واحدا له مكانة مرموقة فى النطق قد يؤثر فى الآخرين من حيث استعماله لكلمة قد قام بأنتزاعها من خبايا او سبات اللغة القديمة ، وحاول الاخرون ـ تأثرا بذلك الشخص ـ من استعمال تلك الكلمة المستخرجة من القدم . وكذلك فأن تفرد شخص مهم بالنطق لحرف معين او كلمة معينة ، يدفع بالآخرين ـ ولاسباب عديدة ـ أن يسرعوا بتقليد ذلك الشخص بطريقة نطقه .. مما يكون له أثر فى بعض الاحيان ، في تطور بنية اللغة من ناحية ، وأنتشارها بشكل جديد من ناحية أخرى ، بعد ان حل الاستخدام الجديد للكلمة محل استخدامها القديم .

لقد تطور نطق الراء الفرنسية الى نطقها الباريسي المعروف ، الذى يجعلها قريبة من الغين العربية عند أحد رجال البلاط الملكي الفرنسي فقلده سائر رجال البلاط ، ثم الارستقراطية ، فأنتشر هذا النطق فى دوائر أخرى بعامل تقليد الطبقة المتميزة اجتماعيا الى ان اصبح هذا التجديد نمطا لغويا سائدا . فدراسة نطق الراء الفرنسية القديمة والنطق الجديد المستقر من الناحية التشريحية او الفيزيائية يبينان مدى الاختلاف او الاتفاق بين المخرجين او الخصائص ، هذه الدراسة لاتكتمل الا

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بربطها بمستوى استخدامها وبالمجتمع الذى استخدمت فيه[1] .

ولكن هذا القول ، رغم اهميته ، لايمنعنا ان نقول ، ان اختراع الفرد (المهم) او الجماعة (المخترعة) للفظة او لكلمه ، يجعل منها شيئا ثابتا لايتغير .

ان الدراسات تشير ان هناك امورا تفعل فعلها بعد ان تخرج تلك الكلمة الجديدة او التركيب الجديد من فم الفرد (المهم) او (الجماعة) . هذه الامور متأتية من قوانين ثابتة صارمة لايستطيع اى فرد او جماعة من تحجيم خطوات تلك الكلمة ، وتعويق مسيرتها .... انها بأختصار قوانين علم اللغة ، التى تقوم بعملها ، وهي فعل بارز وحيوى من نواميس التطور والارتقاء ، ولا يختلف فى هذا عن علم آخر يفعل فعله فى مجالاته الخاصة . وعلى هذا يمكننا ان نقول : ان اى تحول يحدث فى اللغة بعد اختراع لفظة جديدة او كلمة جديدة ، يكون خاضعا لاسباب مهمة ونتيجة لامور عديدة متداخلة لقوانين علم اللغة[2] .

ويمكن ان نضع اصبعنا على كثير من الشواهد فى لغات اخرى ، جرى فيها مثل هذا التغيير على بعض الحروف لاسباب اجتماعية او سياسية او نفسية او تشريحية والتى عمل فعل الزمن المطرد ، والحضارة والحاجة ، والتجربة ، وانتشار اللغة بشكل واسع ، فى تحول او ابدال او امالة او ادغام حروف بحروف أخرى .... مما ساعد على ظهور كلمات محلية مختلفة ، وفى مختلف لغات العالم المعروفة ونستدل مما تقدم ان اللهجات وهى تخرج من رحم الام (اللغة) وذلك لظروف ، ولاسباب عديدة ، قد شغلت كثيرا من العلماء والباحثين والدارسين ... لهذا ... فقد ولد فرع جديد من شجرة علم اللغة ، يطلق عليه

---

(١) المصدر السابق ، ص ١١ .
(٢) ينظر د. علي عبدالواحد وافي ـ المصدر السابق ، ص ٢١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بـ (الدياليكتولوجي)[1][2] الذى يعنى بدراسة الظواهر المتعلقة بأنقسام اللغة الى لهجات ، تبعا بأختلاف البلاد والاوطان ، او باختلاف المجموعات او الجماعات او الاقليات الناطقة بها .

ونظرا الى الاهمية الكبيرة فى معرفة هذه الظاهرة القائمة ، بتفرع اللغـــ الى لهجات ، فينبغي علينا ـ فى مجال دراستنا هذه ـ أن نستقري الاسباب الحقيقيه لنشوء اللهجات .

اننا لايمكننا ان ندخل فى تقصي الاسباب الحقيقية لنشوء اللهجات ، ما لم نلق نظرة على اللغة (الام) التى كما نعلم هى الاصل ، واللهجات هى الفرع ، وندرك امورا وقضـــايا كانت هى السبب بشكل مباشر او غير مباشـــر ينشوء اللهجـــات ....

وتشير الدراسات العلمية ان اللغات الانسانية ، قد اختلفت اختلافا كبيرا في مجال انتشارها ، فى العصور القديمة والحديثة .

> تختلف اللغات الانسانية فى مبلغ انتشارها اختلافا كبيرا فمنها ما تتاح لها فرص مواتية ، فتنتشر فى مناطق واسعة من الارض ، ويتكلم بها عدد كبير من الامم الانسانية ، كما حدث للاتينيةوالعربية فى العصور القديمة والوسطى ،

---

(١) ينظر ـ المصدر السابق ط ٧ ، ص ٧ ، ٦١ ، ٦٢ .

(٢) ويذكر لنا د. الوافي (فى نفس المصدر ص ٦١) ، أنه لم تبدأ العناية بهذا الفرع (علم اللهجات او الدياليكتولوجيا) (دراسة اللهجات الشعبية واللغات العامية) الا منذ عهد قريب ... ولم يكن معروفا قبل القـــرن التاسع عشر ، وقد اهتم بها العلماء والدارسون اهتماما كبيرا منذ القرن التاسع عشر وحتى يومنا هذا . واصبح من المتعذر ان يدرس أى موضوع لغوي بدون الاستعانة بهذا الفرع .

(المؤلفان)

وللانجليزية والاسبانية والبرتغالية والفرنسية والالمانية والتركية فى العصور الحديثة . ومنها ما تسد امامه المسالك ، فيقضي عليه أن يظل حبيسا فى منطقة ضيقة من الارض وفئة قليلة من الناس كما حدث للاينو والبسكية والليتونية . ومنه ما يكون حاله وسطا بين هذا وذاك فلا تتسع مناطقه كل السعة ولا تضيق كل الضيق ، كما هو شأن الحبشية والفارسية[1] .

أما سبب انتشار اللغات الانسانية ، فهى كثيرة ، ولكننا نحاول ان نذكر اهمها حسب الدراسات العلمية المعززة لذلك .

١ ـ أن تشتبك اللغة في صراع مع لغة او لغات أخرى ، وتقضي نواميس الصراع اللغوي ... ان يكتب لها النصر ، فتحتل مناطق اللغة او اللغات المقهورة ، فيتسع بذلك مدى انتشارها وتدخل امم جديدة فى عداد الناطقين بها ، كما حدث للاتينية فى العصور القديمة . اذ تغلبت على على اللغات الاصلية لايطاليا واسبانيا والبرتغال وبلاد الجول (فرنسا وما اليها) والالب الوسطى والاليريا ، فأصبحت لغة الحديث والكتابة فى منطقة واسعة فى القسم الجنوبى الغربى من أوربا ، بعد ان كانت قديما مقصورة على منطقة ضيقة وسط ايطاليا ، هى منطقة اللاتيوم ، وكما حدث للغة العربية اذ تغلبت على كثير من اللغات السامية الاخرى ، وعلى اللغات القبطية والبربرية والكوشتية ، حتى بلغ الآن عدد الناطقين بها نحو مائة مليون ينتمون الى نحو خمس عشرة أمة ، بعد ان

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانوا قديما لايتجاوزون بضعة آلاف يقطنون منطقة ضيقة فى الجنوب الغربي من بلاد العرب ، وكما حدث للالمانية اذ طغت على مساحة واسعة من المناطق المجاورة لها بأوربا الوسطى (بألمانيا ، وسويسرا ، وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا ، والنمسا .. الخ) وقضت على لهجاتها ، فأصبحت الآن لغة الحديث والكتابة لنحو ٩٠ مليونا من سكان اوربا ، بعد ان كانت قديما مقصورة على بعض المقاطعات الالمانية ، وكما حدث للفرنسية اذ انتشرت فى قسم من سويسرا وبلجيكا ، وللايطالية اذ انتشرت في قسم من سويسرا[1] .

اما السبب الثاني ، كما يعتقده الباحثون والدارسون فهو بفعل هجرة أفراد من شعب ما ، او استعمارهم ، لمناطق جديدة بعيدة عن اوطانهم الاصلية ، مما يجعل من استيطان هؤلاء الافراد وبقائهم فى تلك المناطق ، جيلا بعد جيل ، وزيادة عددهم الكبير ، عاملا اساسيا فى انتشار لغتهم فى تلك المناطق الجديدة ....

٢ ـ ان ينتشر افراد شعب ما ـ على أثر هجرة او استعمار ـ فى مناطق جديدة بعيدة عن اوطانهم الاولى ، وتتكون من سلالتهم بهذه المناطق أمة او امم متميزة كثيرة السكان، فيتسع بذلك مدى انتشار لغتهم ، وتتعدد الجماعات الناطقة بها ويكثر افرادها . والامثلة على ذلك كثيرة فى العصور الحديثة . فقد نجم عن استعمار الانجليز السكسون لامريكا الشمالية واستراليا ونيوزيلندا وجنوب افريقيا ، ان انتشرت الانجليزية فى هذه المناطق الشاسعة ، فبلغ

---

(١) المصدر السابق . ط٧ ، ص ١٧٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عدد الناطقين بها نحو مائتي مليون موزعين على مختلف قارات الارض ، بعد ان كانت قديما محصورة فى منطقة ضيقة من الجزر البريطانية • ونجم عن الاستعمار الاسباني فى الدنيا الجديدة ان اصبحت الاسبانية لغة المكسيك وجزر الفلبين وجميع دول امريكا الوسطى وامريكا الجنوبية ، ما عدا البرازيل ، فبلغ عدد الناطقين بها نحو ٧٠ مليونا ينتمون الى نحو خمس عشرة أمة بعد ان كانت محصورة فى منطقة ضيقة فى الجنوب الغربى من اوربا • ونجم عن الاستعمار البرتغالي فى الدنيا الجديدة وافريقيا الاوقيانوسية ان اصبحت البرتغالية لغة سكان البرازيل بأمريكا الجنوبية وسكان المستعمرات البرتغالية بافريقيا وجـــزر المحيط الهندى ، فبلغ عدد الناطقين بها نحو مائة مليون ينتمون الى عدة امم ، بعد ان كانت محصورة فى منطقة ضيقة فـــي بلاد البرتغال نفسها • وقد نجم عن هجرة الفرنسيين الى قسم من كندا ان اصبحت الفرنسية لغة لهذا القسم[1] •

أما السبب الثالث فى انتشار اللغات كما تؤكدها الدراسات والابحاث هو النمو الطبيعي لمجموعة بشرية فى اوطانها الاصلية مما يساعد هذا النمو على تعدد الاقاليم والمناطق والمدن والقرى الجديدة ، ويكون نتيجة لهذا النمو ان تنتشر لغتهم بشكل ملحوظ •

ان يتاح لجماعة ما اسباب مواتية للنمو الطبيعـــي فـــي اوطانها الاصلية نفسها ، فيأخذ عدد افرادها وطوائفها في الزيادة المطردة ، وتنشط حركة العمران فى بلادهـا ، فتكثر فيها المـــدن والقرى ، وتتعدد الاقاليم والمناطق ،

---

١) المصدر السابق ، ص ١٧٠ ، ١٧١ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيتسع تبعا لذلك نطاق لغتها ومدى انتشارها ، كما حدث لليابانية والفرنسية والايطالية . فبفضل هذا العامل بلغ عدد الناطقين باليابانية ما يزيد عن ٧٠ مليونا ، وبفضله كذلك مع مساعدة العاملين السابقين ، بلغ عدد الناطقين بالفرنسية نحو ٥٠ مليونا ، وبالايطالية نحو ٤٥ مليونا ، وبفضل هذا العامل مع مساعدة العاملين السابقين كذلك بلغ عدد الناطقين بالتركية نحو سبعين مليونا[1] .

هذه هى اهم الاسباب التى تؤدى الى انتشار اللغات الانسانية ، قديمها وحديثها . والذى يهمنا فى صميم دراستنا هذه ، نشوء اللهجات ، فما هو ياترى العلاقة بين انتشار اللغات ونشوء اللهجات ؟

ان الدراسات العلمية تؤكد مثل هذا الاتجاه ، وتبرهن على ان احد الاسباب المهمة فى نشوء اللهجات ، هى انتشار اللغة (الام) التى تفرعت منها اللهجة ، لاسباب موضوعية علمية مقبولة .

متى انتشرت اللغة فى مناطق واسعة من الارض ، تحت تأثير عامل او اكثر من العوامل السابق ذكرها ، وتكلم بها جماعات كثيرة العدد ، وطوائف مختلفة من الناس ، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الاولى امدا طويلا ، فلا تلبث ان تتشعب الى لهجات ، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات فى سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها ، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينها وبين اخواتها حتى تصبح لغة متميزة مستقلة غير مفهومة الا لاهلها .

وبذلك يتولد عن اللغة الاولى فصيلة او شعبة من اللغات يختلف افرادها بعضه اعن بعض فى كثير من

---

١) المصدر السابق ، ١٧١ ، ١٧٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوجوه ، ولكنها تظل مع ذلك متفقة فى وجوه اخرى ، ، اذ يترك الاصل الاول فى كل منها آثارا تنطق بما بينها من صلات قرابة ولحمة نسب لغوي . وكثيرا ما يبقى الاصل الاول مدة ما ، لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللغات المتفرعة منه ، ولكنه لايلبث ان يتنحى عن ذلك بعد ان يكتمل نمو هذه اللغات . ولهذا القانون خضعت اللغات الانسانية من مبدأ نشأتها الى العصر الحاضر[1] .

واستكمالا لدراستنا هذه ، فأننا سنورد الامثلة التالية ، مصداقا لهذا القانون :ـ « فاللغة « الهندية ـ الاوربية » الاولى قد انشعبت فى ضحى الانسانية الى مجموعات كثيرة ، وكل مجموعة منها تفرعت الى عدة طوائف ، وكل طائفة منها انقسمت الى شعب ، وكل شعبة الى لغات ... وهكذا دواليك . ومثل هذا حدث للغة « السامية ـ الحامية » الاولى ، ولجميع الفصائل اللغوية الاخرى »[2].

ولو توغلنا في الماضي السحيق ، لوجدنا سريان هذا القانون ايضا ولوجدنا امثلة على ذلك :

وقد شهدت عصورنا التاريخية نفسها كثيرا من آثار هذا القانون . فاللغة اللاتينية ، وهى احدى لغات الفرع الايطالي المنشعب من الهندية ـ الاوربية ، قد اخذت هى نفسها فى أواخر العصور القديمة وفى العصور الوسطى، تنشعب الى عدد كبير من اللهجات ، واخذت كل لهجة من هذه اللهجات ، تسلك فى سبيل تطورها منهجا يختلف

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٥٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن منهج اخواتها حتى انفصلت عنها انفصالا تاما، واصبحت لغة متميزة مستقلة غير مفهومة الا لاهلها • وقد بقيت اللاتينية مدة ما ، لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللغات المتفرعة منها (الفرنسية ، الايطالية ، الاسبانية ، البرتغالية لغة رومانيا •••) ولكنها لم تلبث ان تنحت عن ذلك بعد ان اكتمل نمو هذه اللغات[1] •

ويسري هذا القانون ايضا على اللغات الانسانية المعاصرة ، حيث انه كان نتيجة انتشار كثير من اللغات المعاصرة الحية فى مناطق واسعة ، واختلاف الناس المتكلمين بها سببا فى فقدان وحدتها الاولى ، فأنشعبت منها فروع ولهجات ، كما هو واقع الحال اليوم بالنسبة الى اللغة الاسبانية والبرتغالية ، والانجليزية والالمانية والعربية ايضا :

والعصر الحاضر نفسه يشهد كثيرا من آثار هذا القانون• فلانتشار اللغة الاسبانية فى مناطق واسعة من الارض ، ولاختلاف الطوائف المتكلمة بها ، اخذت تفقد وحدتها، فأنشعبت عنها فى امريكا الجنوبية لهجات كثيرة تختلف كل منها عن الاسبانية الاصلية اختلافا غير يسير فى كلماتها واصواتها ، بل ان بعض هذه اللهجات أخذ يختلف عن الاسبانية الاصلية فى القواعد نفسها • ومثل هذا حدث بين البرتغالية فى البرتغال ، والبرتغالية فى البرازيل ، فقد وصل الخلاف بينهما الى القواعد نفسها، بل الى شكل الرسم كذلك • وهذا هو ما يحدث الآن للانجليزية والالمانية • فقد اخذت انجليزية الولايات المتحدة بامريكا تختلف عن انجليزية الجزر البريطانية

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٧٣ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في كثير من المفردات واساليب النطق • واخذت المانية سويسرا تبتعد عن اصلها ويزداد تأثرها بجارتها الفرنسية حتى توشك ان تكون لهجة متميزة عن المانية الالمان •

وقد اتسعت مسافة الخلف بين اللهجات المنشعبة عن العربية حتى اصبح بعضها شبه غريب عن البعض : فلهجة العراق في العصر الحاضر مثلا يجد المصرى بعض الصعوبة في فهمها[1] •

اذن •••• من كل ما تقدم ، يمكننا ان نقول ان سبب نشوء اللهجات بصورة عامة ، هو انتشار اللغة (الام) بشكل واسع ، بحيث تتيح الفرصة بأن تتكلم بها « جماعات كثيرة العدد » ، وكذلك تتناولها بالنطق والتداول « طوائف مختلفة من الناس » ، مما يسبب عدم الاحتفاظ بالوحدة الاولى للغة الام نفسها • على ان هذا العامل المهم لوحده غير كاف لظهور اللهجات المختلفة ، فلا بد ان تكون هناك اسباب أخرى ، سنأتي عليها في المبحث التالي :

المبحث الاول : اسباب ظهور اللهجات

عند استقراء العوامل التى تؤدى الى ظهور اللهجات ، من قبل الباحثين والدارسين من العلماء ، تبين ان هناك اسبابا اخرى ، تعمل على ظهور اللهجات، بالاضافة الى العامل الاول الذى سبق ذكره الا وهو انتشار اللغة • فما هى ياترى تلك الاسباب التى ادت في الماضي ، وتؤدى في وقتنا الحاضر الى ظهور اللهجات المختلفة ؟ او بتعبير آخر : كيف تتكون اللهجات ؟ تؤكد بعض الدراسات الجادة ان سبب تكون اللهجات يرجع الى عاملين أساسيين هما « (أ) الانعزال بين بيئات الشعب الواحد • (ب) الصراع اللغوي نتيجة غزو او هجرات »[2] •

---

(١) المصدر السابق ، ط٧ ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ •

(٢) د• ابراهيم انيس ـ المصدر السابق ، ص ٢١ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا بد لنا من ان نأتي بأيضاحات بسيطة حول هذين العاملين ، كما تؤكدها الدراسات التي اسعفتنا بتحليل موجز وغني عن تلك الظـــواهر اللغوية وكيف تكون اللهجات فيها .

فحين نتصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها . وفصل بين اجزاء اراضيها عوامل جغرافية ، او اجتماعيـــة ، تستطيع الحكم على امكان تشعب هذه اللغة الواحدة الى لهجات عدة . فقد تفصل جبال او انهار او صحارى او نحو ذلك ، بين بيئات اللغة الواحدة ويترتب على هذا الانفصال قلة احتكاك ابناء الشعب الواحد بعضهم ببعض، او انعزالهم بعضهم عن بعض ، ويتبع هذا ان تتـــكون مجاميع صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة التـى لاتلبث بعد مرور قرن او قرنين ان تتطور تطورا مستقلا ، يباعد بين صفاتها . ويشعبها الى لهجات متميزة[1] .

ثم يضيف الباحث بعض المعلومات الأخرى المفيدة فى مجال دراستنا هذه والتى يؤكد فيها أثر البيئات المنعزلة في نشوء اللهجات المختلفة والتى تتخذ اشكالا مختلفة فى هذا السبيل ، ويذكرنا الباحث بأن الانعزال ، المقصود ليس هـــو الانعزال الجغرافي فحسب ، بل الانعزال الاجتماعي ايضا .

اذ لابد من تطور الكلام وتغيره على مرور الزمن ولكن الطريق الذى يسلكه الكلام فى هذا التطور يختلف من بيئة الى أخرى ؟ لان ظروف الكلام تختلف بين البيئات المنعزلة . ولو امكن ان تتحد تلك الظروف لاتخـــذ الكلام طريقا واحدا فى تطوره ، وشكلا واحدا فى تغيره، ولظلت البيئات المنعزلة ذات لهجة واحـــدة لاتتشعب الى

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢١ ، ٢٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صفات متباينة ، ولكن الواقع المشاهد ان البيئات متى انعزلت اتخذت اشكالا متغايرة فى تطور لهجاتها • فليس للانعزال الجغرافي وحده كل الاثر فى تكون اللهجات ، بل يجب ان يضم اليه الانعزال الاجتماعي ، واختلاف الظـــروف الاجتماعية بين البيئات المنعزلة ، فمن بين هـــذه البيئات المنعزلة ما تتخذ فيه العلاقة بين افراد الاسرة شكلا خاصا ، ونظاما خاصا ، ومنها ما قد تشتهر فيه مهنة خاصة ، او تتصف بطبيعة خاصة فى تربتها تصلح لنوع خاص من الزراعة او الصناعة • فأبناء البيئات الزراعية لهم مـــن الصناعية او التجارية[1] •

ثم يستطرد الباحث فى القاء الضوء على امور ذات قيمة علميـــة كبيرة ، فيبين لنا كيف ان عوامل الانفصال كانت اقوى من عوامل الاتصـال

فى مراحل تاريخية مضت من عمر اللغات ، مما ساعد على نشوء اللهجات فـي فترات طويلة من الزمن :

فتلك الظروف الاجتماعية التى لاتكاد تقع تحت حصـر، هى التى تساعد الانعزال الجغرافى على اختلاف الطريق الذى يسلكه الكلام فى تطوره • وكما ان هناك اختلافا بين الظروف الاجتماعية ، فى البيئات المنعزلة من الامـة الواحدة ، هناك عوامل اشتراك بينها جميعا ، قد ترجـــع الى رابطة سياسية او قومية ، او اتجاه خاص في التفكير• وتلك العوامل المشتركة بين البيئات الواحدة ، هى التى تحافظ على استمرار نوع من الوحدة بينها ، وتعرقل من من ذلك التغير الذى قد يباعد بين بيئتها• ولا يزال الامر

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٢ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بين عوامل انفصال ، وعوامل اتصال ، هذه تباعد بين اللهجات ، وتلك تقرب بينها • ولكن الغلبة فى جميع الامثلة التاريخية كانت دائما لعوامل الانفصال فى آخر الامر ، فتشعبت اللغات الى لهجات واستقلت اللهجات وتميزت بعضها عن بعض • ولكن كان لابد لهذا التشعب من زمن طويل حتى يتحقق وجوده[1] •

ويأتي لنا الكاتب بأمثلة حية على ما يرمي اليه ، سواء ما يخص ظواهر وقعت فى قديم الزمان او فى العصر الحديث •

وخير مثال يمكن ان يضرب لهذا الانعزال الذى يشعب اللغة الواحدة الى لهجات ، تلك اللهجات العربية القديمة فى جزيرة العرب قبل الاسلام ، واحدث الامثلة لهذا الانعزال ما حدث للاسبانية والانجليزية حين انتشر كلاهما فى بقاع بعيدة ، الاولى فى امريكا الجنوبية ، والثانية فى امريكا الشمالية ، وبدأنا الآن نلحظ فروقا صوتية بين اسبانية اوربا واسبانية امريكا ، وانجليزية اوربا وانجليزية امريكا • فأنتشار اللغة الواحدة في بيئات منعزلة يكون لهجات لاتلبث ان تستقل وتتميز بصفات خاصة[2] •

أما العامل الثانى الذى يعمل على ظهور اللهجات وتكوينها ، فهو الصراع اللغوي نتيجة غزو او هجرات الى بيئات معمورة[3] • « فقد يغزو شعب من

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢ •
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢ ، ٢٣ •
(٣) ينظر المصدر نفسه ص ٢١ •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشعوب ارضا يتكلم اهلها لغة اخرى ، فيقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية والمغزورة ، وتكون النتيجة عادة اما القضاء على احدى اللغتين قضاء يكاد يكون تاما ، او ان تنشأ من هذا الصراع لغة مشتقة من كلا اللغتين الغـــازية والمغزوة ، يشتمل على عناصر من هذه واخرى من تلك »[1][2] .

على ان هناك باحثا آخر يذكر لنا فى دراسته العلمية ، الاسباب التى تؤدي الى ظهور اللهجات بشكل يقترب من الدراسة اعلاه وتكمن فيها الفائدة العلمية ايضا . ومن خلال استقراء الباحث في دراسته عن اسباب ظهور اللهجات قديمها وحديثها بشمول انسانى ، يجد ان اهم تلك العوامل مايأتي :

أولا : عوامل سياسية واجتماعية لها أثر فى ظهور اللهجات واللغات . تتعلق باستقلال المناطق التى انتشرت فيها اللغة بعضها عن بعض ، وضعف الســلطان المركزي الذى كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات . وذلك ان اتساع الدولة، وكثرة المناطق التابعة لها ، واختلاف الشعوب الخاضعة لنفوذها ... كل ذلك يؤدي غالبــا الى ضــعف ســـلطانها المركزي ، وتفككها من الناحية السياســـية وانقسامها الى دويلات او دول مستقلة بعضها عن بعض . وغني عن البيـــان ان انفصام الوحدة السياسية يؤدي الى انفصام الوحدة الفكرية واللغوية[3] .

ثانيا : عوامل اجتماعية نفسية أدبية لها تأثير بظهور اللهجات ، وتعددها وتبيان ذلك في النطق والتعبير الصوتي . « تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة مـن فروق في النظم الاجتماعية والعرف والتقاليـد والعادات ومبـلغ الثقافة ومناحي التفكير والوجدان ، فمن الواضح ان الاختلاف فى هذه الامور يتردد صداه فى

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣ .
(٢) سنأتي على تأثير اللغات الغازية على اللهجات بشكل مفصل فـــى المبحث الثانى المخصص له . (المؤلفان).
(٣) د. علي عبدالواحد وافي ـ المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اداة التعبير ..» [1]

ثالثا : عوامل جغرافية تسبب ، فواصل وفوارق فى اللهجات « تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فى الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلهـــا وموقعها ... وما الى ذلك ، وفيما يفصل كل منطقة عن غيرها من جبال وانهار وبحار وبحيرات ... وهلم جرا فلا يخفي ان هذه الفـــروق والفواصل الطبيعية تؤدي عاجلا او آجلا الى فروق وفواصـــل فـــى اللغات »[2] .

رابعا : عوامل شعبية تتعلق بالاجناس الشعبية المختلفة لها تأثير كبير فى تفـــرع اللغة الى لهجات . « تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فـــي والاجناس والفصائل الانسانية التي ينتمون اليها والاصول التي انحدروا منها. فمن الواضح ان لهذه الفروق آثارا بليغة في تفرع اللغـــة الواحدة الى لهجات ولغات» [3] .

خامسا : عوامل جسمية فيزيولوجية لها أثرها الكبيـــر فى ايجـــاد التـــكوين الفسيولوجى لاعضاء النطق ، نتيجة فروق واختلافات بين الاجناس البشرية مما يؤدي الى تنوع فى اللهجات . « تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فى التكوين الطبيعي لاعضاء النطق . ـ فمن المحال ، مع فروق كهذه ، ان تظل اللغة محتفظة بوحدتها الاولى امدا طويلا »[4] .

ومما تقدم يمكننا ان نثبت الخلاصة العلمية الموثوقة التالية والتى تبرع بها لنا الباحث والتي نعتمدها كل الاعتماد فى ظاهرة نشوء اللهجات وتعددها ، حيث انه يقول :

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٧٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .
(١) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فأنقسام المتكلمين باللغة الواحدة تحت تأثير هذه العوامل، الى جماعات متميزة ، واختلاف هذه الجماعات بعضها عن بعض ، فى شئونها السياسية والاجتماعية وفى خواصها الشعبية والجسمية ، والنفسية ، وفيما يحيط بها من طبعية وجغرافية ، كل ذلك وما اليه يوجه اللغة عند كل جماعة منها وجهة تختلف عن وجهتها عند غيرها، ويرسم لتطورها في النواحي الصوتية والدلالية وغيرها منهجا يختلف عن منهج أخواتها ، فتتعدد مناهج التطور اللغوي حسب تعدد الجماعات ، ولا تنفك مسافة الخلف ، كل حسب تعدد الجماعات ، ولا تنفك مسافة الخلف ، تتسع بين اللهجات الناشئة عن هذا التعدد ، حتى تصبح كل لهجة منه الغةمتميزة مستقلة غير مفهومةالا لاهلها[1][2].

المبحث الثاني : تاثيرات اللغات الاخرى على اللهجات

لقد ذكرنا سابقا ان اللغة او اللهجة ، فى بلد او منطقة ما ، قد تتعرض ، لسبب من الاسباب ، الى غزو او هجوم من لغة او لهجة ما .. وهناك شواهد

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

(٢) واذا كان تعدد اللهجات بشكلها القائم المحسوس واقعا فى كل بقاع العالم قديمها وحديثها ... الا ان هناك اسبابا أخرى قد فرضت نفسها فى بعض البلدان من خلال الشعور القومي ، كما تفرض نفسها اليوم في المنطقة العربية لنفس السبب ، من أجل تقليص الفجوة بين اللهجات ، والتعلق والتمسك باللغة الام ... اللغة العربية الفصحى .

(المؤلفان)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وادلة تاريخية ثابتة على مثل هذا الغزو اللغوي :

وقد حدثنا التاريخ عن امثلة كثيرة للصراع ، فقد غزا العرب جهات كثيرة متعددة اللغات ، واستطاعت اللغة العربية آخر الامر ان تصرع تلك اللغات فى مهدها وان تحل محلها . فقد تغلبت على الآرامية فى العراق والشام وعلى القبطية فى مصر ، والبربرية فى بلاد المغـــرب ، والفارسية فى بعض بقاع مملكة فارس القديمة . كمـا يحدثنا ان غزو الرومان لجهات كثيرة فى اوربا ، جعـل الرومانية تحل محل عدة لغات كان يتكلم شهـا في تلك الجهات ، وقد استعرض المحدثون من علماء اللغـــات الامثلة التاريخية للصراع اللغوي فرأوها انواعا وقـــد رأوا ان نتيجة الصراع تختلـــف حســـب كل نوع وظروفه[1] .

وسنورد الآن تلك الانواع ، لنبين مدى تأثر اللهجات باللغات الغازية لها ، وما تترتب على ذلك من نتائج عميقة ، او نتائج بسيطة لم تصب اللغة او اللهجة المغزوة فى صميمها .

أولا : عندما يكون الغزو عسكريا يعتمد على الجيش ، الا ان هذا الغزو لوحده غير كاف لتحديد الغلبة بالنسبة الى اللغة الغازية فى مثل هذا الصراع ، فلربما تضعف اللغة الغازية بتأثير الغزو العسكرى ، عندما يستتب السلم ، وبالرغم من ان واقع الغزوات العسكرية تفرض احتلالا على اهالي منطقة ما ، ولفترات مختلفة ، ويفترض ان تسيطر اللغة الغازية ، على اللغـــة المغزورة ، الا انه ولاسباب أخرى ، لم يكن التأثير على اللغة المغزوة الا فى استعارة الفاظ فقط من اللغة الغازية لاسباب عديدة تختلف من حال الى حـــال .

---

(١) د. ابراهيم انيس ـ المصدر السابق ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

فهناك غزو كان الغزاة فيه قليلي العدد ، وقد اقتصر على جيش قوي كامل العدة ، ظهر تفوقه ساعة القتال ، فلما وضعت الحرب أوزارها ، وبدأ الغزاة حياة سلمية معاهل الارض المغزوة ، ظهرت قلتهم ، وضعف اثرهم ، وبدأ المستوطنون منهم يهجرون لغتهم الاصلية ، متأثرين بلغة البيئة الجديدة ، غير ان اللغة المغزوة قد تستعير فى مثل هذه الحالة بعض الكلمات والاساليب (واللهجات) من اللغة الغازية ، كتلك التى تعبر عن نظام الحكم ، وامور الجيش ونحو ذلك ، وخير مثل لهذا ، غزو النورمنديين لانجلترا فى القرن الحادى عشر ، اذ تغلبت اللغة الانجليزية على لغة الغزاة بعد زمن ما ، وقد تركت النورماندية الفرنسية آثارا ضئيلة باللغة الانجليزية .

ويطول زمن الصراع او يقصر فى مثل هذه الحالة على حسب قرب اللغتين الغازية والمغزوة احداهما من الاخرى ، وعلى قدر اعتزاز الغزاة بموطنهم الاصلي ، وتمسكهم بتقاليدهم وعاداتهم ، ومقدار اختلاطهم بالشعب المغزو [1][2] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٢) ومن الجدير بالذكر ، ان نبين ، محاولة الغزاة الصهاينة العنصريين فى الاستيطان لارض فلسطين العربية ، واحتواء اناسها العرب ، ومسخ التراث واللغة والتاريخ والحضارة والشعور القومي بهذه المنطقة العربية . الا ان الرفض كان وما يزال ساريا من قبل اهالي المنطقة (فلسطين) سياسيا وعسكريا (المقاومة الفلسطينية باجنحتها الثورية المختلفة ى ونفسيا ولغويا واقتصاديا . ونفس الشىء قق =

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهناك أمثلة واقعية على مثل هذا الغزو فى الوطن العربى ، فعندما دخلت الجيوش التركية ، ارض العراق وبعض الاقطار العربية الاخرى ، وبقت فيها عدة قرون مضت حتى أوائل هذا القرن ، فقد تركت وراءها كثيرا من الآثار فـــي اللهجات العربية المحلية فى كل قطر ، واذا ما اردنا ان نمشط مثلا اللهجة المحلية العراقية الحالية ، لسوف نجد أثر اللغة التركية واضحا فى اللهجة العراقية ، سواء ما يخص مفردات المعاملات الرسمية ، او حتى فى القضايا الحياتية اليومية ، وفى بعض الامثلة البغدادية الجارية حتى الآن على ألسنة الناس البسطاء .

ونفس الشيء يمكن ان يقال - ولكن بصورة أقل - عن أثر الجيوش البريطانية التى غزت العراق وبعض الاقطار العربية فى الحرب العالمية الاولـى والثانية ، فقد تركت هذه الجيوش أثرا في بعض اللهجات المحليـة في الاقطار العربية المغزوة ، وقد فعلت الجيوش الفرنسية والايطالية نفس الشيء بالنسبة الى لهجات اهل سوريا ولبنان ، والمغرب العربى ، وقد تبين الاثر واضحا من تأثر اللهجات المحلية العربية بتلك اللغات التى يتكلم بها اولئك العسكريون المحتلون لاقطارنا العربية فترة من الزمن ، ويمكننا ان نتبين ذلك الاثر فى طريقة النطق

= حدث بالنسبة الى عرب الاحواز الذين تمكنوا من المحـــافظة على لغتهم وتراثهم وخصائصهم القومية العربية ، رغم محاولات الفرس العنصريين ولسنين طويلة عملوا على سلب تلك الخصائص القومية ، الا ان محاولات الفرس الغزاة العنصريين لم تنجح وباءت بالفشل. وهذا يعني انه ليس بقاعدة دائما ان تفوز فى الصراع اللغة الغازية بفعل الغزو العسكرى او الغزو الثقافي .. الخ ، على الرغم من ان هناك حالات اخرى يكون العكس فيهـــا صحيحا ، لاسباب تتعلق بأناس المنطقة المغزوة نفسها وظروفهم وشعورهم الوطني والقومى ، وامور أخرى لامجال فى الاسترسال فيها فى هذا المجال .

(المؤلفان)

للناس البسطاء ، او استعمالهم لبعض المفردات الاجنبية (التركية ، الانجليزية والفرنسية والايطالية) • وطبيعي ان مازاد فى تأثر اللهجات المحلية العربية باللغات الغازية ، هو استيطان الاجانب لاقطارنا العربية لاسباب عسكرية او سياسية او اقتصادية ، واختلاطهم بالناس أهل البلد الاصليين لفترة طويلة من الزمن •

رغم المقاومة التى كان يعلنها المواطنون باشكال مختلفة ، تجاه المستعمرين ، الا انه ينبغي ان يقال ان مثل ذلك الاستيطان جاء فى فترة لم تنظم بعد تلك الروح الوطنية والقومية فى برامج سياسية تقوم بها احزاب وطنية مقتدرة ، لا فى العراق فحسب بل فى الوطن العربى كافة •

ثانيا: عندما يكون الغزو على شكل موجات وهجرات متتابلة ، سواء كان على شكل غزو عسكري او عنصري •

> وهناك غزو كثر الغزاة فيه ، وتبعه موجات من هجرات لذلك الشعب الغازي ، جاء بطوائف كثيرة يستعمرون الارض ، ويشتركون في مهنها وحرفها ويلتمسون الرزق من مواردها، زراعة او صناعة ، فلا يدعون مجالا لاجتلاب الخير الا طرقوه ، ولا موردا للحصول على على نفع الا اسرعوا اليه •
>
> وفى مثل هذه الحالة نرى الغزاة يكونون الطبقة العليا والوسطى ، فى حين ان من قهروا فى عقر دارهم يكونون الطبقة الدنيا ، تلك الطبقة الضعيفة المقلدة التى تعتز بصفات الغالب ، وبكل ما جاء به ، ومن بين ذلك اللغة (١) •

وطبيعي ان مثل هذا الغزو المتتالي ، على شكل موجات وهجرات مستمرة، يؤثر على لغة البلاد المحتلة ولهجاتها كلها ، وفى التاريخ القديم امثلة على ذلك،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤ •

كما فعل الرومان عندما غزو جهات كثيرة من اوربا ، واصبحت لغتهم « الرومانية ، هى السائدة والطاغية على لغات الجهات الغزوة ، بل حلت محل عدة لغات فى تلك الاوطان وفى العصر الحديث أمثلة كثيرة على ذلك ايضا ، حيث غـــزا المستعمرون الاوربيون بلدانا عديدة من افريقيا ، واكتسحت لغاتهم الاجنبيـــة الغازية ، اللغات المحلية الافريقية والمحلية ، حتى باتت شعوب تلك الاقطـــار المختلفة تتكلم اليوم الفرنسية او الانجليزية او البرتغالية ... الخ ، مع الحفاظ على بقايا من لغة محلية مندثرة او لهجات اقليمية شبه ضائعة .

وقد حاول المستعمرون الصهاينة العنصريون الذين دخلوا ارض فلسطين العربية على شكل موجات وهجرات ـ بتخطيط استعماري مدروس ـ ان يعملوا على استلاب اللغة العربية الفصحى فى الارض العربية المحتلة ، الا ان الوعـــي الوطني والقومي ، والمقاومة الباسلة لم تمكنهم من ذلك ، وحسب العرب لهذه الهجمة الاستيطانية العنصرية والفكرية حسابها ، وتحصنوا من خطرها ، وعملوا بكل قوة وعزم على التمسك باللغة العربية الفصحى ، كرمز حيوي يدل على الاصالة ، والتمسك بالتراب والتراث والتاريخ والمصير .

ثالثا : عندما يكون الامر هجرة شعب الى ارض معمورة . دون غزو عسكري منظم او تخطيط استيطاني مسبق .

اما هجرة شعب الى ارض معمورة ، دون غزو منظم تقوم به جيوش محاربة ، وانما الامر أمر منافسة فى طلب العيش ، فقد حدثت أمثلة له فى العصور التاريخية ، حين هاجر قوم من الساميين الى بلاد ما بين النهرين ، وكونوا على انقاض السومريين ، تلك المملكة التى عرفت فيم ابعـد بمملكة البابليين والآشوريين . وقد قضت هذه الهجرة السامية على اللغة السومرية بعد ان تركت فـى اللغـــة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آثارا ، واحدثت بها احداثا جعلتها تباين أخواتها السامية في جهتا اخرى[1] .

وعلى العموم ... ومما تقدم ذكره ، فأن تأثير اللغات الغازية على اللغات او اللهجات المغزوة ، تسبب نتائج ، يكون من شأنها ولادة لهجات جديدة .

واحتكاك اللغات الغازية ومعها لهجاتها المتباينة ، باللغات المغزوة التى تشتمل على لهجات ايضا ، يولد لنا انواعا من اللهجات . فنحن حين نستعرض اللهجات العربية الحديثة ، نراها قد اتخذت فى مصر شكلا من الاشكال يباين ذلك الذي اتخذته في العراق او الشام او بلاد المغرب ، ويمكن ان تعزى تلك المباينة بين اللهجات العربية الحديثة الى اختلاف لهجات الغزاة من العرب ، والى التطور المستقل في تلك البيئات الجديدة ... من اجل هذا نشهد الآن لهجات متباينة فى البلاد العربية ، ويجب ان نعمل جاهدين على التقريب بينهما[2] .

وقبل ان ننتهي من هذا المبحث ، فلا بد ان نذكر كيف يمكن ان تكون شقة الخلاف بين اللغات الغازية ، واللغات او اللهجات المغزوة ، نتيجة الصراع اللغوي، والتي قد تتقارب من الوحدة الاولى فى اللغة (الام) ، او ان تنحدر من اصل ارومة واحدة ؟ تدل الدراسات ان شقة الخلاف تكون بين اللهجات المتصارعة ، اما ناحية الصوت ، او من ناحية دلالة المفردات .

ويبدأ الخلاف بين هذه اللهجات من ناحيتين : أحداهما الناحية المتعلقة بالصوت ، فتختلف الاصوات (الحروف) التى تتألف منها الكلمة الواحدة ، وتختلف طريقة النطق

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٥ .
(٢) المصدر السابق . ص ٢٥ .

بها تبعا لاختلاف اللهجات ، والاخـــرى الناحية المتعلقة بدلالـــة المفردات فتختلف معانـــي بعض الكلمات باختـــلاف الجمـــاعات الناطقـــة بهـا أما القواعد ســـواء في ذلك ما يتعلق منها بالبنية (المورفولوجيـا) أو مـــا يتعلـــق بالتنظيـــم (السنتكس) فـــلا ينالها فى المبدأ كثير من التغيير ،واليك مثلا اللهجـــات العامية التى انشعبت عن العربية بالعراق والشام والحجاز واليمن وبلاد المغرب ومصر والسودان ، فأنه لايوجد بينهما الا فروق ضئيلة فى نظام تكوين الجملة ، وتغيير البنيـة وقواعد الاشتقاق والجمع والتأنيث والوصـــف والنسـب والتصغير .... وما الى ذلك ، على حين ان مســـافة الخلف بينها فى الناحيتين الصوتية والدلالية قد بلغت حدا جعل بعضها شبه غريب على بعض[1] .

فاذا ما عرفنا ان اصل البلاء فى سبب نشوء شقة الخلاف بين لغة واخرى ـ وهذا ينفع كثيرا فى دراسة اللغات الاجنبية ـ او بين لهجة واخرى ، الناتجة من النقطتين السالفتي الذكر (ناحية الصوت ، وناحية دلالة المفردات) ، فأن هذه المعرفة والتطبيق العلمي لها، لسوف يوفر لكل من يريد الاهتمام فعلا بتقليص اللهجات ـ بالنسبة الى الوطن العربى الكبير ـ والتخلص منها تدريجيا ، والتمسك الشديد باللغة (الام) العربية الفصحى المعاصرة ، ويكون ذلك ، بفعل مضاد لواقع اللهجة او اللهجات المتعددة ، واحسن وسيلة لتحقيق الفعل المضاد ، هو الاهتمام بمخارج الحروف العربية السليمة ، وتثبيت دلالة المفردات جميعها فى اطار الفهم والتفهم المتبادل لابناء العربية جميعا .

---

(١) د. علي عبدالواحد وافي ـ المصدر السابق ، ص ١٧٦ ، ١٧٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقينا منا ان (فن الالقاء) يستطيع ان ينهض بهذه المهمة الفكرية والادبية والفنية والتنموية ، بشكل فعال ، فيما اذا توفرت ، المادة المطلوبة ، والمدرس الجيد، والرغبة الاكيدة فى التعليم والتعلم ، لا على مستوى الاكاديميات الفنية وبعض اقسام الكليات فى الجامعة فحسب ، بل على نطاق المدارس ، من الابتدائية حتى الجامعة فى ارجاء القطر كافة • واذا ما تم فعلا تعميم مثل هذه الظاهرة الخطيرة فى المرافق والاجهزة والدوائر المختصة فى ارجاء الوطن العربى الكبير ، بالاضافة الى عمل وتأثير وسائل الثقافة والاعلام السمعية والمرئية، ودوائر الثقافة والتعليم ـ ان سارت في هذا الاتجاه الصحيح ـ فأن فرصة كبيرة ومذهلة للوصول الى الهدف المطلوب لسوف يتحقق: (تقريب اللهجات العربية المحلية الحديثة المتعددة ، مرحليا ، وتحقيق الطموح المنشود فى اشاعة « لغة عربية سليمة معاصرة » كتابة وتحدثا ، وفى مراحـــل ومرافق الحياة كافة) ، في فترة زمنية قياسية •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner